فمثال الأول:

ـ قوله تعالى: ﴿وَقَالُواْ يَٰٓأَيُّهَ ٱلسَّاحِرُ﴾ [الزُّخرف: ٤٩].

تقديره: يا أيها الرجل الساحر[١].

ـ وكذلك قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ [البقرة: ١٠٤].

تقديره: يا أيها القوم الذين آمنوا.

ومثال الثاني:

ـ قوله تعالى: ﴿وَمَن تَابَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَإِنَّهُۥ يَتُوبُ إِلَى ٱللَّهِ مَتَابًا ﴿٧١﴾﴾ [الفرقان].

تقديره: ومن تاب وعمل عملاً صالحاً.

والدليل عليه قوله تعالى: ﴿إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَٰلِحًا فَأُوْلَٰٓئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمْ حَسَنَٰتٍ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٧٠﴾﴾ [الفرقان].

ـ وكذلك قوله تعالى: ﴿وَقُولُواْ لِلنَّاسِ حُسْنًا وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ [البقرة: ٨٣].

أي: قولاً ذا حُسْنٍ فحُذِف الموصوف وأقيمت الصفة مقامه بعد حذف المضاف.

قال العكبري: «والضمُّ على تقدير حذف مضاف؛ أي: قولاً ذا حُسْنٍ»[٢].

وقال أبو حيان: «حُسناً نعت لمصدر محذوف؛ أي: قولاً ذا حُسْنٍ»[٣].

٥ ـ في حذف الموصوف اكتفاءٌ بأحدِ لَفظَين بينهما تلازمٌ وارتباط، ليس كيف ما اتفق؛ بل لأن فيه نكتة تقتضي الاقتصار عليه.

٦ ـ من أسباب حذف الموصوف وإقامة الصفة مقامه: ووضوح دلالة الصفة على الموصوف؛ لخصوصيتها به، أو لتعظيمه وتفخيمه؛ لما في الحذف من الإبهام، أو العكس من إرادة الإهانة والتحقير بعدم ذكر الموصوف إهمالاً وتجاهلاً، والذي يُفسر هذا السياق.

---

(١) ينظر: البرهان ٣/ ١٥٥.

(٢) التبيان في إعراب القرآن ١/ ٨٤.

(٣) البحر المحيط ١/ ٤٥٤.

المبحث الرابع

حذف المضاف أو المضاف إليه

وفيه مطلبان:

- **المطلب الأول: حذف المضاف.**
- **المطلب الثاني: حذف المضاف إليه.**

المطلب الأول

حذف المضاف

المضاف: اسم يعرب حسب موقعه من الجملة، ولا يكْمُل معناه إلا بوجود المضاف إليه، والمضافُ يُحذَف كثيراً في القرآن ويُقام المضاف إليه مقامه عند وجود قرينة، من باب الإيجاز والاختصار(١).

قال ابن قتيبة: «باب الحذف والاختصار، من ذلك: أن تَحذفَ المضاف وتُقيمَ المضاف إليه مقامه، وتجعلَ الفعل له.

كقوله تعالى: ﴿وَسْـَٔلِ ٱلْقَرْيَةَ ٱلَّتِى كُنَّا فِيهَا﴾ [يوسف: ٨٢]؛ أي: سل أهلها.

﴿وَأُشْرِبُواْ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْعِجْلَ بِكُفْرِهِمْ﴾ [البقرة: ٩٣]؛ أي: حبه»(٢).

وقال ابن جني في حذف المضاف: «وأمّا أنا فعندي أنّ في القرآن مِثْل هذا الموضع نيِّفاً على ألْفِ موضِع، وذلك أنه على حذفِ المضافِ لا غير»(٣).

---

(١) ينظر: الكتاب ١/ ٢١١.
(٢) تأويل مشكل القرآن ١٣٣.
(٣) الخصائص١/ ١٩٢.

وقال في موضع آخر: «وحَذْفُ المضاف في القرآن والشعر وفصيح الكلام في عدد الرمل سعة، وأستغفر الله، وربما حَذفت العرب المضاف بعد المضاف مكرراً؛ أُنساً بالحال ودلالة على موضوع الكلام؛ كقوله ﷻ: ﴿فَقَبَضْتُ قَبْضَةً مِّنْ أَثَرِ ٱلرَّسُولِ﴾ [طه: ٩٦]؛ أي: من أثر حافرِ فرسِ الرسول»(١).

وقال الزركشي: «حذف المضاف وإقامة المضاف إليه مقامه، وهو كثير»(٢).

ـ كما قال تعالى: ﴿لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ﴾ [البقرة: ١٧٧].

حُذِف المضاف وتقديره: ولكن البرَّ برُّ من آمن بالله واليوم الآخر(٣).

قال الرازي: «ولكن البرَّ برُّ مَن آمن بالله؛ فحُذِف المضاف، وهو كثير في الكلام»(٤).

وعند تأمل كتاب الله تعالى نجد حَذْف المضاف في مواضع من أهمها:

أولاً: إذا نُسب الحكم شرعي إلى ذات، فإن المضاف محذوف؛ لأن التكليف لا يقع على الذوات وإنما على الأفعال.

ومن الأمثلة على ذلك:

ـ قوله تعالى: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَٰتُكُمْ وَبَنَاتُكُمْ وَأَخَوَٰتُكُمْ﴾ [النساء: ٢٣].

والمراد: حُرم عليكم نكاحُ أمهاتكم، لدلالة السياق عليه(٥).

قال أبو حيان: «وليس هذا من المجمل، بل هذا مما حُذِف منه المضاف لدلالة المعنى عليه؛ لأنه إذا قيل: حُرم عليك الخمر، إنما يفهم منه شربها، وحرمت عليك الميتة؛ أي: أكلها، وهذا من هذا القبيل، فالمعنى: نكاح أمهاتكم، ولأنه قد تقدم ما يدل عليه وهو قوله: ﴿وَلَا تَنكِحُوا۟ مَا نَكَحَ ءَابَآؤُكُم

(١) المحتسب ١/ ١٨٧.
(٢) البرهان ٣/ ١٤٦.
(٣) ينظر: الكتاب لسيبويه ١/ ٢١٢.
(٤) تفسير الرازي ٥/ ٣٣.
(٥) ينظر: تفسير الطبري ٦/ ٣٧٠، تفسير ابن كثير ٢/ ٨٨٤.

مِّنَ ٱلنِّسَآءِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ فَٰحِشَةً وَمَقْتًا وَسَآءَ سَبِيلًا ﴿٢٢﴾﴾ [النساء]»[(١)].

والحذف للمضاف هنا أفاد العموم، فيشمل التحريم للنكاح ومقدماته من قول أو فعل[(٢)].

ـ وقوله تعالى: ﴿أُحِلَّتْ لَكُم بَهِيمَةُ ٱلْأَنْعَٰمِ إِلَّا مَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ غَيْرَ مُحِلِّى ٱلصَّيْدِ وَأَنتُمْ حُرُمٌ﴾ [المائدة: ١]؛ أي: أحلت لكم منافع بهيمة الأنعام.

ـ ومثله قوله تعالى: ﴿وَأُحِلَّتْ لَكُمُ ٱلْأَنْعَٰمُ إِلَّا مَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ﴾ [الحج: ٣٠].

هذه فيها حذف مضافين، والتقدير: منافع بهيمة الأنعام، فالمضاف الأول دل عليه عدم وقوع الحِلّ على الذوات، والمضاف الثاني دلت عليه آية سورة المائدة: ﴿أُحِلَّتْ لَكُم بَهِيمَةُ ٱلْأَنْعَٰمِ﴾ [المائدة: ١][(٣)].

قال الشنقيطي: «وحذف المضاف كثير في القرآن كقوله: ﴿وَسْـَٔلِ ٱلْقَرْيَةَ ٱلَّتِى كُنَّا فِيهَا وَٱلْعِيرَ ٱلَّتِىٓ أَقْبَلْنَا فِيهَا﴾ [يوسف: ٨٢]، وقوله: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَٰتُكُمْ وَبَنَاتُكُمْ وَأَخَوَٰتُكُمْ وَعَمَّٰتُكُمْ وَخَٰلَٰتُكُمْ وَبَنَاتُ ٱلْأَخِ وَبَنَاتُ ٱلْأُخْتِ﴾ [النساء: ٢٣]؛ أي: نكاحها، وقوله: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ ٱلْمَيْتَةُ﴾ [المائدة: ٣]؛ أي: أكلها، ونحو ذلك»[(٤)].

ـ وقوله تعالى: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ ٱلْمَيْتَةُ وَٱلدَّمُ وَلَحْمُ ٱلْخِنزِيرِ﴾ [المائدة: ٣].

أي: أكلُ الميتة[(٥)].

قال أبو حيان: «وأسند التحريم إلى الميتة، والظاهر أن المحذوف هو

---

(١) البحر المحيط ٣/ ٢١٨.
(٢) ينظر: الواضح لابن عقيل ٢/ ٤٤٣.
(٣) ينظر: ملاك التأويل ١/ ١٥٨.
(٤) أضواء البيان ٣/ ٥٨.
(٥) ينظر: الهداية إلى بلوغ النهاية ٣/ ١٥٧٨، والخلاف جار في حكم الانتفاع بها، والآية دليل لمن حرم؛ حملاً لحذف المضاف على العموم في الحكم، ينظر: مجموع فتاوى ورسائل الشيخ ابن عثيمين ١١/ ١٠٤، قال النووي في شرحه لصحيح مسلم ٤/ ٥٤: «وروي هذا القول عن عمر بن الخطاب، وابنه عبد الله، وعائشة، وهو أشهر الروايتين عن أحمد، وإحدى الروايتين عن مالك».

الأكل؛ لأن التحريم لا يتعلق بالعين»[١].

ـ وقوله تعالى: ﴿وَأَنْعَٰمٌ حُرِّمَتْ ظُهُورُهَا﴾ [الأنعام: ١٣٨].

المراد: منافع ظهورها، فيتناول الركوب والتحميل عليها[٢].

ثانياً: حذف المضاف إذا عُلِّق فيه الطلبُ على ما قد وقَع.

ـ كقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَوۡفُواْ بِٱلۡعُقُودِۚ﴾ [المائدة: ١].

ـ وقوله تعالى: ﴿وَأَوۡفُواْ بِعَهۡدِ ٱللَّهِ إِذَا عَٰهَدتُّمۡ وَلَا تَنقُضُواْ ٱلۡأَيۡمَٰنَ بَعۡدَ تَوۡكِيدِهَا وَقَدۡ جَعَلۡتُمُ ٱللَّهَ عَلَيۡكُمۡ كَفِيلًاۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَعۡلَمُ مَا تَفۡعَلُونَ ٩١﴾ [النحل].

فالعقد وعهد الله أمرٌ واقعٌ لا يتعلق فيهما نقض ولا وفاء؛ وإنما المراد: الوفاء بمضمونها ومقتضاها، وعلى هذا فالتقدير على حذف المضاف: أوفوا بمقتضى العقود والعهود[٣].

ثالثاً: حذف المضاف إذا عُلِّق الفعل على ذات لا يمكن إسناده إليها.

ـ كقوله تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا فُتِحَتۡ يَأۡجُوجُ وَمَأۡجُوجُ وَهُم مِّن كُلِّ حَدَبٖ يَنسِلُونَ ٩٦﴾ [الأنبياء].

على تقدير حذف المضاف؛ أي: سدُّ يأجوج ومأجوج.

قال أبو حيان: «﴿فُتِحَتۡ يَأۡجُوجُ﴾ على حذف مضاف؛ أي: سد يأجوج ومأجوج»[٤].

وقال القرطبي: «وفي الكلام حذف؛ أي: حتى إذا فتح سد يأجوج ومأجوج، مثل: ﴿وَسۡـَٔلِ ٱلۡقَرۡيَةَ﴾ [يوسف: ٨٢]»[٥].

ـ وقوله تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ ٱلۡعَظۡمُ مِنِّي وَٱشۡتَعَلَ ٱلرَّأۡسُ شَيۡبٗا﴾ [مريم: ٤].

على تقدير حذف المضاف الذي يتضح من السياق؛ أي: شعرُ الرأسِ.

قال البغوي: «أي: ابيض شعر الرأس»[٦].

---

(١) البحر المحيط ١/ ٦٦٠.
(٢) ينظر: مغني اللبيب ٥٨٥.
(٣) ينظر: مغني اللبيب ٥٨٥.
(٤) البحر المحيط ٦/ ٣١٤.
(٥) تفسير القرطبي ١١/ ٣٤١.
(٦) تفسير البغوي ٥/ ٢١٨.

وقال ابن عاشور: «وأصل النظم المعتاد: واشتعل الشيب في شعر الرأس»[١].

ـ وكذا قوله تعالى: ﴿وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتْ بِهَا وَابْتَغِ بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا ﴿١١٠﴾﴾ [الإسراء: ١١٠].

والمراد: بقراءة صلاتك[٢].

قال الزمخشري: «بصلاتك: بقراءة صلاتك على حذف المضاف؛ لأنه لا يُلبس»[٣].

ـ وقوله تعالى: ﴿وَكَم مِّن قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا فَجَاءَهَا بَأْسُنَا بَيَاتًا أَوْ هُمْ قَائِلُونَ ﴿٤﴾﴾ [الأعراف].

فالمراد: أهل قرية[٤]؛ لدلالة السياق، ولأن القرآن بين أن المراد بها السكان، كما قال تعالى: ﴿أَفَأَمِنَ أَهْلُ الْقُرَىٰ أَن يَأْتِيَهُم بَأْسُنَا بَيَاتًا وَهُمْ نَائِمُونَ ﴿٩٧﴾﴾ [الأعراف]، فجعل القرى هم السكان[٥].

إلى غير ذلك من الأمثلة في حذف المضاف وإقامة المضاف إليه مقامه في كتاب الله[٦].

إن حذف المضاف فيه إيجاز اللفظ مع تمام المعنى، ومن حِكَمه:

ـ قصْدُ المبالغة كما في قوله تعالى: ﴿وَسَارِعُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٣﴾﴾ [آل عمران].

فالمضاف هنا محذوف؛ أي: عرضها مثل عرض السماوات والأرض.

وقد دل على هذا الحذف آية الحديد حيث يقول تعالى: ﴿سَابِقُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ

---

(١) التحرير والتنوير ١٦/ ١٠.
(٢) ينظر: ياقوتة الصراط ٣١٦.
(٣) الكشاف ٢/ ٦٥٥، وينظر: تفسير البيضاوي ٣/ ٤٧٢، تفسير أبي السعود ٥/ ٢٠٠.
(٤) ينظر: الجدول في إعراب القرآن ٣٠/ ٣٢٧.
(٥) ينظر: مجموع فتاوى ابن تيمية ٧/ ١١٣.
(٦) ينظر للاستزادة: تأويل مشكل القرآن ١٣٣، مغني اللبيب ٥٨٥، البرهان ٣/ ١٤٦.

﴿وَرُسُلِهِۦ﴾ [الحديد: ٢١][(١)].

ـ وضوح المعنى؛ كما في تعليق الحرمة والإباحة بالأعيان، فالمراد: تحريم الفعل المطلوب منها بدلالة العرف واللغة.

قال ابن هشام: «الطلب لا يتعلق إلا بالأفعال»[(٢)].

فإذا قيل: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ ٱلْمَيْتَةُ وَٱلدَّمُ وَلَحْمُ ٱلْخِنزِيرِ﴾ [المائدة: ٣]، فَهِم كلُّ أحدٍ أن المراد: تحريم أكلهما.

وإذا قيل: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَٰتُكُمْ وَبَنَاتُكُمْ وَأَخَوَٰتُكُمْ وَعَمَّٰتُكُمْ وَخَٰلَٰتُكُمْ وَبَنَاتُ ٱلْأَخِ وَبَنَاتُ ٱلْأُخْتِ﴾ [النساء: ٢٣]، فَهِم كلُّ أحدٍ أن المراد: تحريم نكاحهن[(٣)].

ـ أن المعلَّق على واقعٍ يُحذف مضافُهُ؛ لأنه لا ينسب للأمر الواقع سلب أو إيجاب إلا بتقدير مضافٍ حسب السياق، كما في قوله تعالى: ﴿وَأَوْفُوا۟ بِٱلْعَهْدِ ۖ إِنَّ ٱلْعَهْدَ كَانَ مَسْـُٔولًا ﴿٣٤﴾﴾ [الإسراء: ٣٤]، المراد: مقتضى العهد.

ـ لا بد من أمن اللبس في المعنى مع كل حذف، وإلا امتنع الحذف.

قال ابن القيم: «وحذف المضاف وإقامة المضاف إليه مقامه كثير، وهذا إنما يكون حيث لا لبس، وأما إذا أوقع في اللبس فإنه تمتنع»[(٤)]، والله تعالى أعلم.

المطلب الثاني

حذف المضاف إليه

المضاف إليه: هو اسمٌ أو ضمير يُنسب إلى اسمٍ سابق، والاسم السابق له هو المضاف، ويُعرب حسب موقعه من الجملة، والمضاف إليه مجرور دائماً[(٥)].

---

(١) ينظر: ملاك التأويل ١/ ١٢٣.
(٢) مغني اللبيب ٥٨٥.
(٣) ينظر: الكشاف ١/ ٥٢٥، التفسير الكبير ١٠/ ٢١، تفسير البيضاوي ٢/ ١٦٥.
(٤) حاشية ابن القيم على سنن أبي داود ٨/ ٢١، وينظر: مجموع فتاوى ابن تيمية ٦/ ٤٧١.
(٥) ينظر: التعريفات ٢١٧.

قال سيبويه: «والمضاف إليه: هو تمام الاسم ومقتضاه»(١).

وإذا كانت دلالة المضاف إليه قوية، وأُمِن اللبس جاز حذفه اكتفاءً بالمضاف والقرينة الدالة على المضاف إليه(٢).

ومن المواضع التي حُذِف فيها المضاف إليه:

إذا أضيف المنادى إلى ياء متكلم، ومن الأمثلة:

١ ـ حذف ياء المتكلم في [يا قَوْمِ]:

ـ كما في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ يَٰقَوْمِ إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنفُسَكُم بِٱتِّخَاذِكُمُ ٱلْعِجْلَ﴾ [البقرة: ٥٤].

فحذْفُ المضاف إليه في هذا الموضع كثيرٌ؛ اكتفاءً بكسر ما قبله دليلاً عليه.

ـ وقوله تعالى: ﴿قُلْ يَٰقَوْمِ ٱعْمَلُوا۟ عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ إِنِّى عَٰمِلٌ ۖ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ [الأنعام: ١٣٥].

ـ وقوله تعالى: ﴿وَجَآءَ مِنْ أَقْصَا ٱلْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَىٰ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱتَّبِعُوا۟ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٢٠﴾﴾ [يس].

فالمضاف إليه هنا ياء المتكلم، والتقدير: يا قومي.

حُذِفت في جميع مواضع هذا السياق في القرآن(٣)، وهي أفصح اللغات(٤).

قال ابن زنجلة(٥): «﴿يَٰقَوْمِ﴾ والأصل يا قومي فحذفت الياء، وإنما

---

(١) الكتاب ٢/ ٢٢٦.
(٢) ينظر: أوضح المسالك ٢/ ٣٤٤.
(٣) كل مواضع [يا قوم] في القراءات المتواترة.
(٤) ينظر: إبراز المعاني من حرز الأماني ١/ ٨٣، قال السمين: «وهي لغة القرآن» الدر المصون ١/ ٣٥٩.
(٥) هو: عبد الرحمٰن بن محمد، أبو زرعة ابن زنجلة، عالم بالقراءات، كان قاضياً مالكياً، ومن مصنفاته: «حجة القراءات»، و«شرف القراء في الوقف والابتداء»، مات حوالي سنة (٤٠٣هـ)، له ترجمة في: مقدمة محقق كتاب الحجة الأستاذ سعيد الأفغاني، الأعلام ٣/ ٣٢٥.

تحذف في النداء؛ لأن باب النداء باب التغيير والحذف»[١].

وقال العكبري: «﴿يَقَوْمِ﴾، حذف ياء المتكلم اكتفاء بالكسرة، وهذا يجوز في النداء خاصة؛ لأنه لا يلبس»[٢].

وقال الزركشي: «كثُر في القرآن حذفُ الياء من المنادى المضاف إلى ياء المتكلم نحو: ﴿يَـرَبِّ﴾، ﴿يَقَوْمِ﴾ وعُلِّل ذلك بأن النداء باب حذف ألا ترى أنه يحذف منه التنوين»[٣].

ـ ومن الأمثلة قوله تعالى: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ فَقَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ﴾ [الأعراف: ٥٩].

ـ وقوله تعالى: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِىٓ ءَامَنَ يَٰقَوْمِ ٱتَّبِعُونِ أَهْدِكُمْ سَبِيلَ ٱلرَّشَادِ ﴿٣٨﴾﴾ [غافر].

ـ وقوله تعالى: ﴿قَالَ يَٰقَوْمِ إِنِّى لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٢﴾﴾ [نوح].

٢ ـ حذف ياء المتكلم في [يَا عِبَادِ]:

ـ كما في قوله جل وعلا: ﴿يَٰعِبَادِ فَٱتَّقُونِ ﴿١٦﴾﴾ [الزُّمر: ١٦].

ـ وقوله تعالى: ﴿يَٰعِبَادِ لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمُ ٱلْيَوْمَ وَلَآ أَنتُمْ تَحْزَنُونَ ﴿٦٨﴾﴾ [الزُّخرف].

ـ وقوله تعالى: ﴿قُلْ يَٰعِبَادِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمْ﴾ [الزُّمر: ١٠].

وقد جاء إثباتُ ياء المتكلم مفتوحةً في موضعين من القرآن[٤] هما:

ـ قوله تعالى: ﴿يَٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِنَّ أَرْضِى وَٰسِعَةٌ فَإِيَّٰىَ فَٱعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾﴾ [العنكبوت].

ـ وقوله تعالى: ﴿قُلْ يَٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ﴾ [الزُّمر: ٥٣].

---

(١) حجة القراءات ٣٥٤.
(٢) التبيان في إعراب القرآن ١/ ٦٤.
(٣) البرهان ٣/ ١٨٠.
(٤) من قوله: ﴿يَٰعِبَادِ﴾.

وثبوت الياء في هذين الموضعين في المصاحف بلا خلاف[١].

٣ ـ حذف ياء المتكلم في [يَا رَبِّ].

ـ قال الله تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ ٱغْفِرْ لِى وَلِأَخِى وَأَدْخِلْنَا فِى رَحْمَتِكَ ۖ وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿١٥١﴾﴾ [الأعراف].

فحُذِفت من المنادى ياء المتكلم، وهي مضاف إليه، وقد تكرر هذا مراراً في القرآن.

ـ كما في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّ ٱجْعَلْ هَٰذَا بَلَدًا ءَامِنًا﴾ [البقرة: ١٢٦].

ـ وقوله تعالى: ﴿وَقُل رَّبِّ ٱرْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِى صَغِيرًا ﴿٢٤﴾﴾ [الإسراء: ٢٤].

ـ وقوله تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ ٱنصُرْنِى عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٣٠﴾﴾ [العنكبوت].

ـ وقوله تعالى: ﴿رَبِّ هَبْ لِى مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٠٠﴾﴾ [الصَّافات].

ومن الأمثلة:

حذف المضاف إليه في الغايات[٢].

أي: (قبلُ) و(بعدُ) فيكثُر حذفُ المضاف إليهما في القرآن إذا قُطِعا عن الإضافة لفظاً وبقي المعنى مراداً، ويبنيان على الضم[٣].

قال الرضي: «المضاف إليه لا يُحذَف إلا مع بناء المضاف، كما في الغايات، أو مع ساد مسد المضاف إليه، وهو التنوين»[٤].

ـ كما في قوله تعالى: ﴿لِلَّهِ ٱلْأَمْرُ مِن قَبْلُ وَمِنۢ بَعْدُ ۚ وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿٤﴾﴾ [الرُّوم: ٤].

---

(١) ينظر: إبراز المعاني من حرز الأماني ١/ ٣٠٤، إتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربعة عشر ٢٢٣.

(٢) المراد: المضاف إلى (قبل) و(بعد) وهما ظرفا زمان يفيدان الغاية القبلية أو البعدية.

(٣) ينظر: تفسير السمرقندي ٢/ ٦٥١، مغني اللبيب ٥٨٧.

(٤) شرح الرضي على الكافية ١/ ١١٦، وينظر: الإتقان ٢/ ١٣٤.

أي: من قبل الغَلَبِ ومن بعدِه[١]، فحُذف المضاف إليه، وبقي منوياً ومقدراً[٢].

قال البقاعي: «﴿مِن قَبْلُ﴾؛ أي: قبل دولة أهل فارس على الروم، ثم دولة الروم على فارس، لا إلى غاية تكون مبدأ لاختصاصه بالأمور فيه سبحانه غلبوهم ﴿وَمِنۢ بَعْدُۚ﴾؛ أي: بعد دولة الروم عليهم، ودولتهم على الروم، لا إلى غاية فيه أيضاً غلبهم الروم، فَحَذْف المضاف إليه هو الذي أفهم أن زمن غلبة فارس لهم وما بعده من البضع مذكور دخوله في أمر مرتين»[٣].

ـ وقوله تعالى: ﴿وَلَمَّا جَآءَهُمْ كِتَٰبٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ وَكَانُواْ مِن قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ [البقرة: ٨٩].

أي: كانوا من قبل مجيء القرآن يستفتحون على الذين كفروا، فحُذف المضاف؛ لدلالة السياق.

ـ وقوله تعالى: ﴿وَجَآءَهُۥ قَوْمُهُۥ يُهْرَعُونَ إِلَيْهِ وَمِن قَبْلُ كَانُواْ يَعْمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِۚ﴾ [هود: ٧٨].

أي: من قبل مجيئهم.

ـ وقوله تعالى: ﴿وَإِن كَانُواْ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿١٦٤﴾﴾ [آل عمران: ١٦٤].

ـ وقوله تعالى: ﴿فَمَن يَكْفُرْ بَعْدُ مِنكُمْ فَإِنِّىٓ أُعَذِّبُهُۥ عَذَابًا لَّآ أُعَذِّبُهُۥٓ أَحَدًا مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١١٥﴾﴾ [المائدة: ١١٥].

المراد: بعد نزول المائدة[٤].

ـ وقوله تعالى: ﴿ثُمَّ أَغْرَقْنَا بَعْدُ ٱلْبَاقِينَ ﴿١٢٠﴾﴾ [الشعراء].

---

(١) ينظر: تأويل مشكل القرآن ٢٤٠، تفسير السمرقندي ٣/ ٤، مغني اللبيب ٥٨٧، البرهان ٣/ ١٥٢.
(٢) ينظر: الكشاف ٣/ ٤٧٣، مغني اللبيب ٥٨٧، البرهان ٣/ ١٥٢.
(٣) نظم الدرر ٥/ ٥٩٥.
(٤) ينظر: الجدول في إعراب القرآن ٧/ ٦٦.

يعني: بعد إنجائنا نوحاً ومن آمن[١].

ومن مواضع حَذْف المضاف إليه:

إذا تلا (كل)[٢] أو (بعض).

هذه الألفاظ ملازمة للإضافة أبداً، وإذا قُطِعت عنها الإضافة لفظاً ومعنى، عوِّض عن المضاف إليه بالتنوين[٣].

قال الرازي: «لِمَ جَاز حَذْفُ المضاف إليه من ﴿كُلٌّ﴾ [آل عمران: ٧]؟ الجواب: لأن دلالة المضاف عليه قويةٌ، فبعد الحَذْفِ الأمنُ مِنَ اللبسِ حاصل»[٤].

ـ كما في قوله تعالى: ﴿كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا ۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُوْلُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٧﴾﴾ [آل عمران: ٧].

فالمراد: كل واحدٍ من المحكم والمتشابه من عند ربنا، فحذف المضاف إليه للعلم به[٥].

ـ وقوله جل وعلا: ﴿وَلِكُلٍّ وِجْهَةٌ هُوَ مُوَلِّيهَا﴾ [البقرة: ١٤٨].

أي: ولكل أهل قبلة وجهةٌ، فحذف المضاف إليه لفظاً ونُوِي المعنى، واستُغني عنه بالتنوين الذي يدل عليه[٦].

قال الرازي: «إنما قال: ﴿وَلِكُلٍّ﴾ ولم يقل: لكلِّ قومٍ أو أمةٍ؛ لأنه معروف المعنى عندهم، فلم يضر حذف المضاف إليه، وهو كثير في كلامهم كقوله: ﴿لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا﴾ [المائدة: ٤٨]»[٧].

---

(١) ينظر: تفسير القرطبي ١٣/ ١٢١.

(٢) يشترط في (كل) لقطع الإضافة عنها في اللفظ: ألا تكون للتوكيد، ولا للنعت، ينظر: ضياء السالك إلى أوضح المسالك ٢/ ٣٠٥.

(٣) ينظر: شرح الرضي على الكافية ١/ ١١٦.

(٤) تفسير الرازي ٧/ ١٥٥.

(٥) ينظر: تفسير القاسمي ٢/ ٢٥٦.

(٦) ينظر: ضياء السالك إلى أوضح المسالك ٢/ ٣٠٥.

(٧) تفسير الرازي ٤/ ١١٩.

ـ وقوله سبحانه: ﴿وَقَالُواْ ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدًا سُبْحَٰنَهُۥ بَل لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ كُلٌّ لَّهُۥ قَٰنِتُونَ ﴿١١٦﴾﴾ [البقرة].

أي: كل من في السماوات والأرض.

قال أبو حيان: «كلٌّ: مرفوع بالابتداء، والمضاف إليه محذوف، وهو عبارة عن من في السماوات والأرض؛ أي: كل من في السماوات والأرض»(١).

ـ وقوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ يُنفَخُ فِى ٱلصُّورِ فَفَزِعَ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ وَكُلٌّ أَتَوْهُ دَٰخِرِينَ ﴿٨٧﴾﴾ [النمل].

(كلٌّ) مضافة تقديراً؛ أي: وكلهم(٢).

ـ وقوله سبحانه: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ كُلٌّ فِى فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴿٣٣﴾﴾ [الأنبياء]؛ أي: كل ذلك(٣).

ـ وقوله تعالى: ﴿قَالَ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوٓاْ إِنَّا كُلٌّ فِيهَآ إِنَّ ٱللَّهَ قَدْ حَكَمَ بَيْنَ ٱلْعِبَادِ ﴿٤٨﴾﴾ [غافر]؛ أي: كلنا، فحذف المضاف إليه(٤).

ـ وقوله تعالى: ﴿قُلْ كُلٌّ يَعْمَلُ عَلَىٰ شَاكِلَتِهِۦ فَرَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَنْ هُوَ أَهْدَىٰ سَبِيلًا ﴿٨٤﴾﴾ [الإسراء]، حُذِف المضاف إليه بعد (كلٌّ) فنونت، والتقدير: كلُّ أحدٍ يعمل على طريقته التي تشاكل حاله في الهدى والضلالة(٥).

ومن مواضع حذف المضاف إليه:

إذا تلا (بعض).

ـ كما في قوله تعالى: ﴿وَإِذَا خَلَا بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ قَالُوٓاْ أَتُحَدِّثُونَهُم بِمَا فَتَحَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمْ﴾ [البقرة: ٧٦].

ـ وقوله تعالى: ﴿وَمَا بَعْضُهُم بِتَابِعٍ قِبْلَةَ بَعْضٍ﴾ [البقرة: ١٤٥].

---

(١) البحر المحيط ١/ ٥٣٣.
(٢) ينظر: الدر المصون ٨/ ٦٤٥.
(٣) ينظر: البرهان ٣/ ١٥٢، بصائر ذوي التمييز ٤/ ٣٧٢.
(٤) ينظر: الكشاف ٤/ ١٧٥، البحر المحيط ٧/ ٤٤٩.
(٥) ينظر: تفسير البيضاوي ٣/ ٤٦٤، تفسير النسفي ٢/ ٢٩٨.

ـ وقوله تعالى: ﴿ذُرِّيَّةًۢ بَعْضُهَا مِنۢ بَعْضٍ﴾ [آل عمران: ٣٤].

ـ وقوله تعالى: ﴿فَٱسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّى لَآ أُضِيعُ عَمَلَ عَٰمِلٍ مِّنكُم مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ ۖ بَعْضُكُم مِّنۢ بَعْضٍ ۖ﴾ [آل عمران: ١٩٥].

ـ وقوله تعالى: ﴿تِلْكَ ٱلرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ﴾ [البقرة: ٢٥٣].

فقُطعت (بعض) عن الإضافة لفظاً ومعنىً[(١)].

قال ابن هشام: «من أنواع تنوين العوض: التنوين اللاحق عوضاً عن مضاف إليه، بعد: (كل) و(بعض)؛ أي: إذا قطعتا عن الإضافة، نحو: ﴿وَكُلًّا ضَرَبْنَا لَهُ ٱلْأَمْثَالَ ۖ﴾ [الفرقان: ٣٩]، ﴿فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ﴾ [البقرة: ٢٥٣]، وقيل: هو تنوين التمكين، رجع لزوال الإضافة التي كانت تعارضه»[(٢)].

ومن الأمثلة كذلك:

ـ قوله تعالى: ﴿كَبُرَ مَقْتًا عِندَ ٱللَّهِ وَعِندَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ [غافر: ٣٥].

والتقدير: كبر مقتُ فعلِكم.

قال ابن عطية: «والمراد: كبر مقتُ فعلِكم فحذف المضاف إليه، ونصب المضاف على التمييز»[(٣)].

ـ وقوله تعالى: ﴿بَلْ مَكْرُ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ إِذْ تَأْمُرُونَنَآ أَن نَّكْفُرَ بِٱللَّهِ وَنَجْعَلَ لَهُۥٓ أَندَادًا ۚ﴾ [سبأ: ٣٣].

أي: بل صدُّنَا مكركم بنا بالليل والنهار.

قال أبو السعود: «فحُذِف المضاف إليه، وأُقيم مقامه الظرف اتساعاً»[(٤)].

وبعد تأمل مواضع حذف المضاف إليه، توصلت إلى النتائج الآتية:

ـ كثرة حذف المضاف إليه في القرآن، ولكنه أقل من حذف المضاف.

قال الزركشي: «وهو أقل استعمالاً»[(٥)]؛ أي: من حذف المضاف.

---

(١) ينظر: البرهان ٣/ ١٥٢.
(٢) مغني اللبيب ٣٣١ بتصرف.
(٣) المحرر الوجيز ٥/ ٢٧٧.
(٤) تفسير أبي السعود ٧/ ١٣٤.
(٥) البرهان ٣/ ١٥٢.

ـ كَثُر حَذْف المضاف إليه في القرآن بعد عدد من الكلمات منها: «قبل، وبعد، وكل وبعض».

ـ علامة حذفِ المضاف إليه بعد هذه الكلمات أحد أمرين:

أ ـ كونها مبنية؛ لأنه إذا حُذف المضاف إليه ونوي معناه استحقت البناء.

ب ـ أو كونها مختومة بالتنوين عوضاً عن الإضافة[١].

قال الزركشي: «من قرأ بتنوين [كُلٌّ] فإنه حَذَفَ المضاف إليه، وجعل التنوين عوضاً عنه»[٢].

ـ الأكثر في القرآن حَذْف المضاف إليه إذا أضيف المنادى إلى ياء متكلم.

ـ من فوائد حذف المضاف إليه:

١ ـ الإيجاز عند العلم بالمراد.

٢ ـ وخفة النطق على اللسان.

٣ ـ وكثرة الأجر بإعمال الذهن، والله تعالى أعلم.

(١) ينظر: الجنى الداني في حروف المعاني ٢٣.
(٢) البرهان ٢/ ٤٣٥.

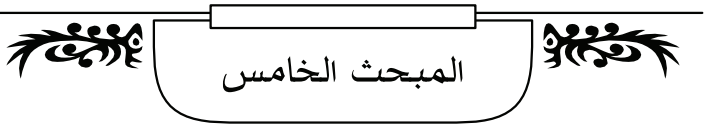

حذف جواب الشرط والقسم

وفيه مطلبان:

- **المطلب الأول: حذف جواب الشرط.**
- **المطلب الثاني: حذف القسم أو جوابه.**

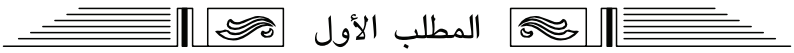

حذف جواب الشرط

ومن مواضع الحذف والاختصار في كتاب الله تعالى أن يأتي الكلام مَبنِيّاً على أن له جواباً، فيُحْذَف الجواب لعلم المخاطب به.

قال سيبويه: «سألت الخليل عن قوله جل ذكره: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا وَفُتِحَتۡ أَبۡوَٰبُهَا﴾ [الزُّمر: ٧٣] أين جوابها؟

وعن قوله جل وعلا: ﴿وَلَوۡ يَرَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ إِذۡ يَرَوۡنَ ٱلۡعَذَابَ﴾ [البقرة: ١٦٥]، ﴿وَلَوۡ تَرَىٰٓ إِذۡ وُقِفُواْ عَلَى ٱلنَّارِ﴾ [الأنعام: ٢٧] فقال: إن العرب قد تترك في مثل هذا الخبر الجواب في كلامهم لعلم المخبر لأي شيءٍ وضع هذا الكلام»[(١)].

وأمثلة حذف جواب الشرط كثيرة في القرآن، وفي لغة العرب، ولا يكون ذلك إلا إذا عُلِم المحذوف بما يدل عليه من متقدمِ خبرٍ أو مشاهدةِ حال.

قال الطبري: «إنّ من شأن العرب الإيجاز والاختصار، إذا كان فيما

(١) الكتاب ٣/ ١٠٣.

نطقت به الدلالة الكافية على ما حذفتْ وتركتْ»[١].

وقال الشنقيطي: «الغالب في اللغة العربية أن يكون الجواب المحذوف من جنس المذكور قبل الشرط، ليكون ما قبل الشرط دليلاً على الجواب المحذوف»[٢].

ومن مواضع حذف جواب الشرط في القرآن:

حذف جواب الشرط في جواب (لو).

قال الرازي: «وهو كثير في التنزيل»[٣].

وقال أبو حيان: «وحذف جواب لو، لفَهْم المعنى، كثيرٌ في القرآن، وفي لسان العرب. قال تعالى: ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ فَزِعُواْ فَلَا فَوْتَ﴾ [سبأ: ٥١]، ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ وُقِفُواْ عَلَى ٱلنَّارِ﴾ [الأنعام: ٢٧]، ﴿وَلَوْ أَنَّ قُرْءَانًا سُيِّرَتْ بِهِ ٱلْجِبَالُ﴾ [الرعد: ٣١]»[٤].

ـ ومن الأمثلة قوله تعالى: ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ وُقِفُواْ عَلَى ٱلنَّارِ فَقَالُواْ يَٰلَيْتَنَا نُرَدُّ وَلَا نُكَذِّبَ بِـَٔايَٰتِ رَبِّنَا وَنَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢٧﴾﴾ [الأنعام].

حُذِف جواب الشرط، وتقديره: ولو ترى إذ وقفوا على النار لرأيت أمراً شنيعاً[٥].

قال ابن عطية: «وقوله تعالى: ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ وُقِفُواْ عَلَى ٱلنَّارِ﴾ [الأنعام: ٢٧]، الآية المخاطبة فيه لمحمد ﷺ وجواب [لَوْ] محذوف، تقديره في آخر هذه الآية: لرأيت هولاً أو مشقاتٍ أو نحو هذا، وحذف جوابها في مثل هذا أبلغ؛ لأن المخاطب يُترَك مع غاية تخيله»[٦].

ـ وقوله سبحانه: ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ وُقِفُواْ عَلَىٰ رَبِّهِمْ ۚ قَالَ أَلَيْسَ هَٰذَا بِٱلْحَقِّ ۚ قَالُواْ بَلَىٰ وَرَبِّنَا ۚ قَالَ فَذُوقُواْ ٱلْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿٣٠﴾﴾ [الأنعام].

جواب لو محذوف، والتقدير: لشاهد أمراً عظيماً[٧].

---

(١) تفسير الطبري ١/ ٣٢٧.
(٢) أضواء البيان ٢/ ٢٤٠.
(٣) تفسير الرازي ٤/ ١٨٨.
(٤) البحر المحيط ١/ ٦٤٦.
(٥) ينظر: الكشاف ٢/ ١٦.
(٦) المحرر الوجيز ٢/ ٣٣٠.
(٧) ينظر: التبيان في إعراب القرآن ١/ ٤٨٩.

ـ وقوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّ قُرْءَانًا سُيِّرَتْ بِهِ ٱلْجِبَالُ أَوْ قُطِّعَتْ بِهِ ٱلْأَرْضُ أَوْ كُلِّمَ بِهِ ٱلْمَوْتَىٰ ۗ بَل لِّلَّهِ ٱلْأَمْرُ جَمِيعًا ۗ﴾ [الرعد: ٣١].

لم يُؤت بجواب لو[١]، وتقديره: لكان هذا القرآن[٢]، وقيل التقدير: لما آمنوا به، بدليل قوله تعالى قبلها: ﴿وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِٱلرَّحْمَٰنِ ۚ﴾ [الرعد: ٣٠][٣].

ـ وقوله تعالى: ﴿وَلَوْ يَرَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ إِذْ يَرَوْنَ ٱلْعَذَابَ أَنَّ ٱلْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا وَأَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعَذَابِ ﴿١٦٥﴾﴾ [البقرة: ١٦٥]، تقدير الجواب: لرأيت أمراً عظيماً، ولعلمت أن القوة لله[٤].

ومن الأمثلة:

حذف جواب الشرط إذا جاء في ختام الآيات.

ـ كقوله تعالى في السحر: ﴿وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْا۟ بِهِۦٓ أَنفُسَهُمْ ۚ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ﴿١٠٢﴾﴾ [البقرة: ١٠٢].

معنى شروا: باعوا[٥]، وجواب الشرط محذوف تقديره: لو كانوا يعلمون قبح عملهم لما فعلوا ما فعلوا[٦].

قال أبو حيان: «وجواب لو محذوف، تقديره: ﴿لَّوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ﴿١٠٣﴾﴾ ذمّ ذلك لما باعوا أنفسهم»[٧].

ـ وقوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّقَوْا۟ لَمَثُوبَةٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ خَيْرٌ ۖ لَّوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ﴿١٠٣﴾﴾ [البقرة].

أي: ولو أنهم آمنوا بالله ورسله واتقوا المحارم، لكان مثوبة الله على ذلك خيراً لهم مما استخاروا لأنفسهم ورضوا به[٨].

ـ وقوله جل وعلا: ﴿وَقَالُوا۟ لَا تَنفِرُوا۟ فِى ٱلْحَرِّ ۚ قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا ۚ لَّوْ كَانُوا۟ يَفْقَهُونَ ﴿٨١﴾﴾ [التوبة: ٨١].

---

(١) ينظر: معاني القرآن للفراء ٢/ ٧.
(٢) ينظر: تأويل مشكل القرآن ١٣٦.
(٣) ينظر: مغني اللبيب ٦١٢.
(٤) ينظر: الهداية إلى بلوغ النهاية ١/ ٥٣٦.
(٥) ينظر: تفسير الطبري ٢/ ٤٥٥.
(٦) ينظر: تفسير أبي السعود ١/ ١٤٠.
(٧) البحر المحيط ١/ ٥٠٣.
(٨) تفسير ابن كثير ١/ ٣٦٤.

حُذِف جوابُ الشرط في ختام الآية، وتقديره: لو كانوا يفقهون لنفروا.

قال ابن كثير: «﴿قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا لَّوْ كَانُوا يَفْقَهُونَ ﴿٨١﴾﴾؛ أي: لو أنهم يفقهون ويفهمون لنفروا مع الرسول في سبيل الله في الحر، ليتقوا به حَرَّ جهنم، الذي هو أضعاف أضعاف هذا»[١].

ـ وقوله تعالى: ﴿قَالَ إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا لَّوْ أَنَّكُمْ كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١١٤﴾﴾ [المؤمنون].

فقوله: ﴿لَّوْ أَنَّكُمْ﴾ جوابُها محذوف، تقديرُه: لو كنتم تعلمونَ مقدارَ لُبْثِكم من الطول لَمَا أَجَبْتُم بهذه المدة[٢].

قال الزركشي: «وقوله: ﴿قَالَ إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا لَّوْ أَنَّكُمْ كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١١٤﴾﴾ تقديره: لآمنتم، أو لما كفرتم، أو لزهدتم في الدنيا، أو لتأهبتم للقائنا»[٣].

وقال ابن كثير: «أي: لما آثرتم الفاني على الباقي، ولما تَصَرَّفتم لأنفسكم هذا التصرف السّيئ، ولا استحققتم من الله سخطه في تلك المدة اليسيرة، ولو أنكم صبرتم على طاعة الله وعبادته كما فعل المؤمنون لفزتم كما فازوا»[٤].

ومن الأمثلة:

حذف جواب الشرط في جواب (لولا).

ـ كما في قوله تعالى: ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ وَأَنَّ ٱللَّهَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٠﴾﴾ [النور].

فجواب لولا محذوف، تقديره: ولولا فضل الله عليكم ورحمته لعذبكم[٥].

قال الشنقيطي: «وقد تكرر في الآيات[٦] التي قبل هذه الآية حذف

---

(١) تفسير ابن كثير ٤/ ١٩١.
(٢) ينظر: الدر المصون ٨/ ٣٧٤.
(٣) البرهان ٣/ ١٨٦.
(٤) تفسير ابن كثير ٥/ ٥٠٠.
(٥) ينظر: تأويل مشكل القرآن ١٣٦.
(٦) المراد الآيات التي قبلها في سورة النور، وهي قوله تعالى: ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ =

جواب لولا؛ لدلالة القرائن عليه»[١].

ـ وقوله تعالى: ﴿وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَآ أَنْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ﴾ [الأعراف: ٤٣].

جواب لولا محذوف لدلالة ما قبله عليه؛ أي: لولا أن هدانا الله ما كنا لنهتدي.

قال أبو حيان: «والذي تقتضيه أصول العربية أنّ جواب [لَوْلَا] محذوف؛ لدلالة ما قبله عليه؛ أي: ﴿لَوْلَآ أَنْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ﴾ ما كنا لنهتدي، أو لضللنا؛ لأنّ [لَوْلَا] للتعليق، فهي في ذلك كأدوات الشرط»[٢].

ـ وقوله تعالى: ﴿إِن كَادَتْ لَتُبْدِي بِهِۦ لَوْلَآ أَن رَّبَطْنَا عَلَىٰ قَلْبِهَا﴾ [القصص: ١٠].

جواب لولا محذوف، وتقديره: لولا أن ربطنا على قلبها لكادت تبدي به، دل عليه قوله: ﴿إِن كَادَتْ لَتُبْدِي بِهِۦ﴾ [القصص: ١٠][٣].

ـ وقوله جل وعلا: ﴿وَلَوْلَآ أَن تُصِيبَهُم مُّصِيبَةٌۢ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ فَيَقُولُوا۟ رَبَّنَا لَوْلَآ أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَنَتَّبِعَ ءَايَٰتِكَ وَنَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٧﴾﴾ [القصص].

جواب لولا الأولى محذوف، تقديره: لعاجلناهم بالعذاب[٤].

قال الزمخشري: «﴿لَوْلَآ﴾ الأولى: امتناعية وجوابها محذوف، والثاني: تحضيضية»[٥].

وقال القرطبي: «وجواب [لَوْلَا] محذوف؛ أي: لولا أن يصيبهم عذاب بسبب معاصيهم المتقدمة، ﴿فَيَقُولُوا۟ رَبَّنَا لَوْلَآ﴾؛ أي: هلا ﴿أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا

= وَرَحْمَتُهُۥ وَأَنَّ ٱللَّهَ تَوَّابٌ حَكِيمٌ ﴿١٠﴾﴾، وقوله تعالى: ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ لَمَسَّكُمْ فِى مَآ أَفَضْتُمْ فِيهِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٤﴾﴾.

(١) أضواء البيان ٥/ ٤٨٥.

(٢) البحر المحيط ٤/ ٣٠٢، وينظر: تفسير أبي السعود ٣/ ٢٢٨.

(٣) ينظر: البحر المحيط ٥/ ٢٩٥.

(٤) ينظر: الهداية إلى بلوغ النهاية ٨/ ٥٥٤٣.

(٥) الكشاف ٣/ ٤٢٢.

رَسُولًا﴾ لما بعثنا الرسل، وقيل: لعاجلناهم بالعقوبة»[١].

ومن الأمثلة كذلك:

ـ قوله تعالى: ﴿قَالَ يَٰقَوْمِ أَرَءَيْتُمْ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّي وَءَاتَىٰنِي رَحْمَةً مِّنْ عِندِهِۦ﴾ [هود: ٢٨].

ـ وقوله تعالى: ﴿قَالَ يَٰقَوْمِ أَرَءَيْتُمْ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّي وَرَزَقَنِي مِنْهُ رِزْقًا حَسَنًا﴾ [هود: ٨٨].

جواب الشرط الذي في قوله: ﴿إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّي﴾ محذوف تقديره: أأضل كما ضللتم، وأترك تبليغ الرسالة، ونحو هذا مما يليق بهذه المحاجة[٢].

قال مكي: «﴿قَالَ يَٰقَوْمِ أَرَءَيْتُمْ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّي﴾؛ أي: على بيان، وبرهان فيما أدعوكم إليه، ﴿وَرَزَقَنِي مِنْهُ رِزْقًا حَسَنًا﴾؛ أي: حلالاً، وجواب الشرط محذوف لعلم السامع، والمعنى: أفتأمرونني بالعصيان»[٣].

ـ وقوله تعالى: ﴿أَمَّنْ هُوَ قَٰنِتٌ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ سَاجِدًا وَقَآئِمًا﴾ [الزُّمر: ٩].

لم يذكر ضد هذا؛ لأن في آخر الآية قوله: ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الزُّمر: ٩]، دليلاً على المراد[٤].

قال الفراء: «وقوله في الزمر: ﴿أَمَّنْ هُوَ قَٰنِتٌ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ سَاجِدًا وَقَآئِمًا يَحْذَرُ ٱلْءَاخِرَةَ وَيَرْجُوا۟ رَحْمَةَ رَبِّهِۦ﴾ [الزُّمر: ٩]، ولم يؤت له بجواب، وكفى قوله: ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الزُّمر: ٩] من ذلك، فهذا ممّا ترك جوابه، وكفي منه ما بعده»[٥].

ـ وقوله تعالى: ﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن كَانَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ وَكَفَرْتُم بِهِۦ وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ مِثْلِهِۦ فَـَٔامَنَ وَٱسْتَكْبَرْتُمْ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٠﴾﴾ [الأحقاف].

---

(١) تفسير القرطبي ١٣/ ٢٩٣.
(٢) ينظر: مغني اللبيب ٦١٢، البرهان ٣/ ١٨١، دراسات لأسلوب القرآن ٢/ ٥٥٠.
(٣) الهداية إلى بلوغ النهاية ٥/ ٣٤٥٣.
(٤) تأويل مشكل القرآن ١٣٦.
(٥) معاني القرآن ٢/ ٧.

قال أبو حيان: «﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ﴾ مفعولا أرأيتم محذوفان، لدلالة المعنى عليهما، والتقدير: أرأيتم حالكم إن كان كذا؟ ألستم ظالمين؟ فالأول: حالكم، والثاني: ألستم ظالمين، وجواب الشرط محذوف؛ أي: فقد ظلمتم، ولذلك جاء فعل الشرط ماضياً»(١).

وقال الزمخشري: «﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِنْ﴾ جواب الشرط محذوف تقديره: إن كان القرآن من عند الله وكفرتم به، ألستم ظالمين؟ ويدل على هذا المحذوف قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥١﴾﴾»(٢).

ـ وقوله تعالى: ﴿كُلَّمَا جَآءَهُمْ رَسُولٌۢ بِمَا لَا تَهْوَىٰٓ أَنفُسُهُمْ فَرِيقًا كَذَّبُوا۟ وَفَرِيقًا يَقْتُلُونَ ﴿٧٠﴾﴾ [المائدة: ٧٠].

قال الرازي: «قوله: ﴿فَرِيقًا كَذَّبُوا۟ وَفَرِيقًا يَقْتُلُونَ ﴿٧٠﴾﴾ لا يصلح أن يكون جواباً لهذا الشرط؛ لأن الرسول الواحد لا يكون فريقين، فجواب الشرط محذوف، وإنما جاز حذفه لأن الكلام المذكور دليل عليه، والتقدير: كلما جاءهم رسول ناصبوه، ثم إنه قيل: فكيف ناصبوه؟ فقيل: فريقاً كذبوا وفريقاً يقتلون»(٣).

ـ وقوله تعالى: ﴿إِن تَتُوبَآ إِلَى ٱللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا ۖ وَإِن تَظَٰهَرَا عَلَيْهِ فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ مَوْلَىٰهُ وَجِبْرِيلُ وَصَٰلِحُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۖ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ بَعْدَ ذَٰلِكَ ظَهِيرٌ ﴿٤﴾﴾ [التَّحريم].

قال العكبري: «قوله تعالى: ﴿إِن تَتُوبَآ﴾ [التَّحريم: ٤]، جواب الشرط محذوف تقديره: فذلك واجب عليكما أو يتب الله عليكما، ودل على المحذوف: ﴿فَقَدْ صَغَتْ﴾؛ لأن إصغاء القلب إلى ذلك ذنب»(٤).

وبعد تأمل مواضع الحذف لجواب الشرط في القرآن توصلت إلى النتائج الآتية:

ـ أن حذف جواب الشرط في القرآن كثير، لا سيما إذا تقدم عليه أو اكتَنَفَه ما يدل على الجواب(٥).

---

(١) البحر المحيط ٨/ ٥٨.
(٢) الكشاف ٤/ ٣٠٢.
(٣) تفسير الرازي ١٢/ ٤٧.
(٤) التبيان في إعراب القرآن ٢/ ١٢٢٩.
(٥) مغني اللبيب ٦١٢.

ـ أكثر حذف جواب الشرط في جواب (لو) و(لولا).

ـ الحذف خلاف الأصل، ولا يكون الميل عن الأصل إلا لغرضٍ.

ومن أهم فوائد حذف جواب الشرط:

الأولى: الإيجاز والاختصار، للعلم به من السياق، مع ما فيه من مراعاة فواصل الآيات، فيُتَحصَّل على المعنى الكثير في اللفظ القليل، ولو لم يكن في هذا الحذف المدلول عليه إلا تقليلُ الكلام وتقريب معانيه إلى الأفهام لكان ذلك كافياً في تحقيق عادة العرب من الإيجاز والاختصار.

قال الفراء: «وترك الجواب في القرآن كثير؛ لأن المعنى مكرر معروف»(١).

وقال القرطبي: «فجواب الشرط محذوف للعلم به»(٢).

الثانية: أن حذف جواب الشرط في مقام الوعيد يقتضي تعظيم الأمر وشدته، مع ما يتركه الحذف من الأثر المعنوي على المتلقي؛ بسبب ما يُحْدِثُه من الإبهام الذي قد يجعل النفس تقدّر ما شاءت دون حدود.

ـ كما في قوله تعالى: ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلْمُجْرِمُونَ نَاكِسُوا۟ رُءُوسِهِمْ عِندَ رَبِّهِمْ﴾ [السجدة: ١٢].

ـ وقوله تعالى: ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ فَزِعُوا۟ فَلَا فَوْتَ﴾ [سبأ: ٥١].

ـ وقوله تعالى: ﴿وَلَوْ يَرَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ إِذْ يَرَوْنَ ٱلْعَذَابَ أَنَّ ٱلْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا﴾ [البقرة: ١٦٥].

ـ وقوله تعالى: ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ وُقِفُوا۟ عَلَىٰ رَبِّهِمْ﴾ [الأنعام: ٣٠].

ـ وقوله تعالى: ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ وُقِفُوا۟ عَلَى ٱلنَّارِ﴾ [الأنعام: ٢٧].

ـ وقوله تعالى: ﴿كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ ٱلْيَقِينِ ﴿٥﴾﴾ [التكاثر].

فحذْفُ الجواب في هذه الآيات وشبهِها أولى من ذِكْره، ليَدُل على عظمة ذلك المقام، وأنه لهوله وشدته وفظاعته لا يعبَّر عنه بلفظ ولا يُدرك

---

(١) معاني القرآن ١/ ٩٧، بتصرف.

(٢) تفسير القرطبي ١٨/ ١٨٩.

بالوصف[١]، والله تعالى أعلم.

المطلب الثاني

حذف القسم أو جوابه

ومن مواضع الحذف والإيجاز في كتاب الله تعالى، حذف القَسَم إذا كان في الكلام ما يدل عليه.

وأركان القسم أربعة:

اجتمعت في قول الله جل وعلا: ﴿وَأَقْسَمُوا۟ بِٱللَّهِ جَهْدَ أَيْمَٰنِهِمْ لَا يَبْعَثُ ٱللَّهُ مَن يَمُوتُ﴾ [النحل: ٣٨].

فقوله: ﴿وَأَقْسَمُوا۟﴾ الركن الأول: فعل القسم.

وقوله: ﴿بِٱللَّهِ﴾ الركن الثاني: المقسم به.

وقوله: ﴿لَا يَبْعَثُ ٱللَّهُ مَن يَمُوتُ﴾ الركن الثالث: المقسم عليه.

والركن الرابع: هو الغاية من القسم، وهذا يختلف من قَسَم لآخر حسب الحال والمقام.

قال ابن القيم: «وهو سبحانه يقسم بأمور على أمور، وإنما يقسم بنفسه الموصوفة بصفاته، وبآياته المستلزمة لذاته وصفاته، وإقسامه ببعض المخلوقات دليل على أنه من عظيم آياته.. تارة على التوحيد، وتارة على أن القرآن حق، وتارة على أن الرسول حق، وتارة على الجزاء والوعد والوعيد، وتارة على حال الإنسان»[٢].

وعادة القرآن حذف فعل القسم، مع غير الباء؛ لأن حرف القسم لا يحذف إذا ذكر الفعل، والباء هي المختصة بجواز ذكر الفعل معها، كما في الآية السابقة، وفي قوله تعالى: ﴿يَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ لَكُمْ لِيُرْضُوكُمْ وَٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَحَقُّ أَن يُرْضُوهُ﴾ [التوبة: ٦٢].

---

(١) ينظر: القواعد الحسان ٤٦، قواعد التفسير ١/ ٣٧٢.

(٢) التبيان في أقسام القرآن ٦.

قال ابن هشام في معاني الباء: «القسم، وهو أصل أحرفه، ولذلك خصت بجواز ذكر الفعل معها، نحو: أقسم بالله لتفعلن»[(١)].

وعلى هذا فيُكتفى في أغلب الأقسام بحرف القسم، ويُحذف الفعل.

ـ كما في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ لَمْ تَكُن فِتْنَتُهُمْ إِلَّآ أَن قَالُوا۟ وَٱللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ ﴿٢٣﴾﴾ [الأنعام: ٢٣].

ففي هذه الآية اكتفاء بالواو في القسم عن الفعل.

ـ وقوله تعالى: ﴿قَالَ أَلَيْسَ هَٰذَا بِٱلْحَقِّ ۚ قَالُوا۟ بَلَىٰ وَرَبِّنَا ۚ قَالَ فَذُوقُوا۟ ٱلْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿٣٠﴾﴾ [الأنعام].

ـ وقوله تعالى: ﴿قَالُوا۟ تَٱللَّهِ إِنَّكَ لَفِى ضَلَٰلِكَ ٱلْقَدِيمِ ﴿٩٥﴾﴾ [يوسف].

ففي هذه الآية اكتفاء بالتاء في القسم عن الفعل، وخُصت التاء بأسماء الله، وفي القرآن بلفظ الجلالة كما سبق.

ـ وقوله تعالى: ﴿وَتَٱللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَٰمَكُم بَعْدَ أَن تُوَلُّوا۟ مُدْبِرِينَ ﴿٥٧﴾﴾ [الأنبياء].

ففي هذه الأمثلة وغيرُها كثيرٌ، حَذْفُ فعل القسَم، اكتفاءً بالحرف، لكثرة تكرره ومعرفة المحذوف.

قال ابن القيم: «والقسم لما كان يكثر في الكلام اختُصِر، فصار فعل القسم يُحذف ويُكتفى بالباء، ثم عوض من الباء الواو في الأسماء الظاهرة، والتاء في أسماء الله؛ كقوله: ﴿وَتَٱللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَٰمَكُم﴾ [الأنبياء: ٥٧]، وقد نُقل: ترب الكعبة، وأما الواو فكثيرة»[(٢)].

قال ابن هشام: «حذف جملة القسم كثير جداً، وهو لازم مع غير الباء من حروف القسم»[(٣)].

---

(١) مغني اللبيب ١١٥.
(٢) التبيان في أقسام القرآن ٧.
(٣) مغني اللبيب ٦١٠.

وعادة القرآن حذف المقسم به.

ـ كما في قوله تعالى: ﴿قَالَ ٱخْرُجْ مِنْهَا مَذْءُومًا مَّدْحُورًا ۖ لَّمَن تَبِعَكَ مِنْهُمْ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿١٨﴾﴾ [الأعراف].

ففي قوله: ﴿لَأَمْلَأَنَّ﴾ تركٌ للمقسم به.

قال البيضاوي: «﴿لَأَمْلَأَنَّ﴾ جواب قسم محذوف»(١).

ومثله قال أبو حيان(٢)، والسمين الحلبي(٣).

ـ وقوله تعالى: ﴿كَتَبَ ٱللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا۠ وَرُسُلِىٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ قَوِىٌّ عَزِيزٌ ﴿٢١﴾﴾ [المجادلة].

ـ وقوله تعالى: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾ [النور: ٥٥].

ففي قوله تعالى: ﴿لَأَغْلِبَنَّ﴾، وقوله: ﴿لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ﴾ جواب لقسم محذوف.

قال أبو حيان: «واللام في ﴿لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ﴾ جواب قسم محذوف؛ أي: وأقسم ﴿لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ﴾، أو أجرى وعد الله لتحققه مجرى القسم فجُووب بما يجاوب به القسم»(٤).

ـ ومن الأمثلة قوله تعالى: ﴿لَتَرَوُنَّ ٱلْجَحِيمَ ﴿٦﴾﴾ [التكاثر].

فبيَّن لهم ما أنذرهم منه وأوعدهم به؛ وقد مرّ ما في إيضاح الشيء بعد إبهامه من تفخيمه وتعظيمه، وهو جواب قسم محذوف، والقسم لتوكيد الوعيد(٥).

ـ وقوله تعالى: ﴿لَتُؤْمِنُنَّ بِهِۦ وَلَتَنصُرُنَّهُۥ ۚ قَالَ ءَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِى ۖ قَالُوٓا۟ أَقْرَرْنَا ۚ قَالَ فَٱشْهَدُوا۟ وَأَنَا۠ مَعَكُم مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٨١﴾﴾ [آل عمران: ٨١].

اللام في لتؤمنن به جواب قسم محذوف؛ أي: والله لتؤمنن به(٦).

---

(١) تفسير البيضاوي ٣/ ١١.
(٢) البحر المحيط ٤/ ٢٧٨.
(٣) الدر المصون ٥/ ٢٧٤.
(٤) البحر المحيط ٦/ ٤٣١.
(٥) ينظر: الكشاف ٤/ ٧٩٩.
(٦) ينظر: تفسير القرطبي ٤/ ١٢٥.

ـ وقوله تعالى: ﴿وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِي لَحْنِ الْقَوْلِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ أَعْمَالَكُمْ ﴿٣٠﴾﴾ [محمد: ٣٠].

فقوله: ﴿وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ﴾ جواب قسم محذوف دل عليه باللام: ﴿وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ﴾[١].

وعادة القرآن حذف جواب القسم:

إذا كان في نفس المقسَم به دلالةٌ على المقسَم عليه.

فالمقصود يحصل بذكر المقسَم به، فيكون حذْف المقسم عليه أبلغ وأوجز.

قال ابن القيم: «والجواب يحذف تارة ولا يراد ذكره بل يراد تعظيم المقسم به، . . وتارة يحذف الجواب وهو مراد، إما لكونه قد ظهر وعرف؛ إما بدلالة الحال، كمن قيل له: كل. فقال: لا والله الذي لا إلٰه إلا هو، أو بدلالة السياق، وأكثر ما يكون هذا إذا كان في نفس المقسم به ما يدل على المقسم عليه، وهي طريقة القرآن، فان المقصود يحصل بذكر المقسَم به فيكون حذف المقسَم عليه أبلغ وأوجز»[٢].

ـ كما في قوله تعالى: ﴿صٓ وَالْقُرْءَانِ ذِي الذِّكْرِ ﴿١﴾﴾ [ص].

فإن في المقسَم به من تعظيم القرآن، ووصفِه بأنه ذو الشرف والقدر، وافتتاح السور بحرف من الحروف المقطعة، ما يدل على المقسَم عليه، من التحدي، وتقدير الجواب: إنه لمعجز أو لواجب العمل به، أو إن محمداً لصادق[٣].

قال ابن عطية: «وقال قتادة والطبري: الجواب مقدر قبل بل، وهذا هو الصحيح، تقديره: والقرآن ما الأمر كما يزعمون، ونحو هذا من التقدير فتدبَّرْه»[٤].

---

(١) ينظر: نظم الدرر ٧/ ١٧٤.
(٢) التبيان ١٠، ١١.
(٣) ينظر: تفسير البيضاوي ٥/ ٣٤، تفسير النسفي ٤/ ٣٢.
(٤) المحرر الوجيز ٤/ ٥٦١.

وقال ابن القيم: «قوله: ﴿صٓ وَٱلْقُرْءَانِ ذِى ٱلذِّكْرِ ۝١﴾ [ص]، فإنه هنا حذف الجواب ومن قال: إن الجواب هو قوله: ﴿إِنَّ ذَٰلِكَ لَحَقٌّ تَخَاصُمُ أَهْلِ ٱلنَّارِ ۝٦٤﴾ [ص]، فقد أبعد النجعة»(١).

وهذا مطرد في كل ما شابه ذلك(٢).

ـ وقوله تعالى: ﴿قٓ وَٱلْقُرْءَانِ ٱلْمَجِيدِ ۝١﴾ [ق].

جواب القسم محذوف(٣)، معناه ـ والله أعلم ـ والقرآن المجيد لتبعثن، والشاهد على ذلك ما بعده من ذكر البعث في قوله: ﴿أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا ۖ ذَٰلِكَ رَجْعٌۢ بَعِيدٌ ۝٣﴾ [ق](٤).

قال الطبري: «﴿قٓ وَٱلْقُرْءَانِ ٱلْمَجِيدِ ۝١﴾ [ق]، لَتُبْعثنّ بعد الموت، فقالوا: أإذا كنا تراباً بُعثنا؟ جحدوا البعث»(٥).

قال ابن القيم: «وحُذِفَ جواب القسم؛ لأنه قد علم بأنه يقسم على هذه الأمور، وهي متلازمة، فمتى ثبت أن الرسول حق ثبت القرآن والمعاد، ومتى ثبت أن القرآن حق ثبت صدق الرسول الذي جاء به، ومتى ثبت أن الوعد والوعيد حق ثبت صدق الرسول الذي جاء به، ومتى ثبت أن الوعد والوعيد حق ثبت صدقه وصدق الكتاب الذي جاء به»(٦).

ـ وقوله تعالى: ﴿وَٱلْفَجْرِ ۝١ وَلَيَالٍ عَشْرٍ ۝٢ وَٱلشَّفْعِ وَٱلْوَتْرِ ۝٣ وَٱلَّيْلِ إِذَا يَسْرِ ۝٤ هَلْ فِى ذَٰلِكَ قَسَمٌ لِّذِى حِجْرٍ ۝٥ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ ۝٦﴾ [الفجر].

جواب القسم هنا محذوف تقديره: ليُعَذَّبَن، أو نحوه، ويدل على ذلك ما بعده من قوله: ﴿هَلْ فِى ذَٰلِكَ قَسَمٌ لِّذِى حِجْرٍ ۝٥ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ ۝٦﴾ [الفجر]، إلى قوله: ﴿سَوْطَ عَذَابٍ ۝١٣﴾ [الفجر: ١٣].

---

(١) التبيان في أقسام القرآن ٨، وينظر: التسهيل ٢/ ٤٣٨.
(٢) ينظر: الكشاف ٤/ ٣٨٣.
(٣) المحرر الوجيز ٥/ ١٣٨، التسهيل ٣/ ٧٣.
(٤) ينظر: تأويل مشكل القرآن ١٤٢.
(٥) تفسير الطبري ٢٢/ ٣٢٧.
(٦) التبيان في أقسام القرآن ١٠.

قال ابن القيم: «قيل جوابه: ﴿إِنَّ رَبَّكَ لَبِٱلْمِرْصَادِ ﴿١٤﴾﴾ [الفجر]، وهذا ضعيف لوجهين: أحدهما: طول الكلام والفصل بين القسم وجوابه بجمل كثيرة، والثاني: قوله: ﴿إِنَّ رَبَّكَ لَبِٱلْمِرْصَادِ ﴿١٤﴾﴾ ذِكْر لتقرير عقوبة الله الأمم المذكورة، وهي عاد وثمود وفرعون، فذَكَر عقوبتهم، ثم قال مقرراً ومحذراً: ﴿إِنَّ رَبَّكَ لَبِٱلْمِرْصَادِ ﴿١٤﴾﴾...»، ثم ذكر ما تضمنه المقسم به من معان، وقال بعدها: «فلما تضمن هذا القسم ما جاء به إبراهيم ومحمد صلى الله عليهما وسلم، كان في ذلك ما دل على المقسَم عليه، ولهذا اعتبر القَسَم بقوله تعالى: ﴿هَلْ فِى ذَٰلِكَ قَسَمٌ لِّذِى حِجْرٍ ﴿٥﴾﴾ [الفجر] فإن عظمة هذا المقسَم به يُعَرِّف بالنبوة، وذلك يحتاج إلى حِجْر، بِحَجْر صاحبه عن الغفلة واتباع الهوى، ويحمله على اتباع الرسل لئلا يصيبه ما أصاب من كذب الرسل كعاد، وفرعون، وثمود»[(١)].

وقال السمين الحلبي بعد ذكر قول من قال الجواب: ﴿هَلْ فِى ذَٰلِكَ قَسَمٌ لِّذِى حِجْرٍ ﴿٥﴾﴾، وقدَّره: إن في ذلك قسماً لذي حجر: «وهذا قول باطل؛ لأنه لا يَصْلُح أن يكونَ مُقْسَماً عليه، على تقديرِ تسليمِ أن التركيبَ هكذا، وإنما ذكَرْتُه للتنبيهِ على سقوطِه»[(٢)].

ـ ومن الأمثلة في حذف جواب القسم قوله تعالى: ﴿وَٱلنَّٰزِعَٰتِ غَرْقًا ﴿١﴾ وَٱلنَّٰشِطَٰتِ نَشْطًا ﴿٢﴾ وَٱلسَّٰبِحَٰتِ سَبْحًا ﴿٣﴾ فَٱلسَّٰبِقَٰتِ سَبْقًا ﴿٤﴾ فَٱلْمُدَبِّرَٰتِ أَمْرًا ﴿٥﴾ يَوْمَ تَرْجُفُ ٱلرَّاجِفَةُ ﴿٦﴾ تَتْبَعُهَا ٱلرَّادِفَةُ ﴿٧﴾﴾ [النَّازعات].

فجواب القسم ههنا محذوف تقديره: لتبعثن أو لتحشرن ويدل على ذلك ما أتى من بعده من ذكر القيامة في قوله: ﴿يَوْمَ تَرْجُفُ ٱلرَّاجِفَةُ ﴿٦﴾ تَتْبَعُهَا ٱلرَّادِفَةُ ﴿٧﴾﴾ [النَّازعات]، إلى آخر السورة[(٣)].

قال الفراء: «ويسأل السائل: أين جواب القسم في النازعات؟ فهو مما تُرِك جوابه لمعرفة السامعين، المعنى وكأنه لو ظهر كان: لتبعثنّ، ولتحاسبنّ،

---

(١) التبيان في أقسام القرآن ٢١ ـ ٢٣. (٢) الدر المصون ١٠/ ٧٧٧.
(٣) ينظر: تأويل مشكل القرآن ١٤٢، مغني اللبيب ٦١٠.

ويدل على ذلك قولهم: ﴿أَءِذَا كُنَّا عِظَٰمًا نَّخِرَةً ﴿١١﴾﴾ [النَّازعات]»[١].

وقال الطبري في جواب القسم في النازعات: «والصواب من القول في ذلك عندنا: أن جوابَ القسمِ في هذا الموضعِ، مما استغني عنه بدلالة الكلام، فتُرِك ذكرُه»[٢].

وبعد؛ ففي هذه العادة:

ـ اختصار جملة القسَم لتكرره في الكلام، حيث يُحذَف فعل القسم ويُكتفى بالحرف.

ـ أن الله يقسم بنفسه الموصوفة بصفاته، وبآياته المستلزمة لذاته وصفاته، ويسمى هذا المقسم به.

ـ أن القسم في القرآن تارة على التوحيد، وتارة على أن القرآن حق، وتارة على أن الرسول حق، وتارة على الجزاء والوعد والوعيد، وتارة على حال الإنسان[٣]، ويسمى هذا المقسَم عليه، ولتكررِ المقسَم به والمقسَم عليه ومعرفتِه جاز حذفه.

ـ أنه أكثر ما يُحذف جواب القسم إذا كان في نفس المقسَم به دلالة على المقسَم عليه، فإن المقصود يحصل بذكره ـ أي: المقسَم به ـ، فيكون حذْف المقسم عليه أبلغ وأوجز.

ـ أن الغاية من القسم:

١ ـ إمّا تحقيق الخبر ودعوة المخاطب إلى الإيمان والإذعان به؛ كما هو الغالب.

٢ ـ أو لفت النظر إلى عظمة المقسم به، وما يتصف به من صفات عظيمة، وفي هذه الحالة يُحذف جواب القسم اختصاراً واكتفاءً بالمقسم به لحصول الغرض المقصود منه.

ـ أن حذف القسم أو جوابه فيه مراعاة لسياق التعبير، وحال النظم

---

(١) معاني القرآن ٣/ ٢٣١.
(٢) تفسير الطبري ٢٤/ ١٩٢.
(٣) ينظر: التبيان في أقسام القرآن ٦.

والتركيب، وبناءً عليه ففي كل موضعٍ فائدةٌ للحذف، ومن خلالها يتبين سبب الحذف.

ـ أنه يُحذف جواب القسم في القرآن، وهو المقسم عليه كثيراً، ثم ينتقل بعد القسم إلى كلام آخر فيه معنى الجواب المحذوف، ويكون دليلاً على الجواب المطلوب.

ـ أن الأصل في المقسم عليه أن يكون مذكوراً في الكلام؛ لأنه المقصود بالتحقيق، ولكن جاء حذفه في القرآن، إما: للعلم به، أو لأن المعنى أوسع من أن يحده لفظ، فالحذف للتعظيم والتفخيم، وهذه عادة العرب في كلامهم إذا أرادوا أن يخبروا الغائب عن أمور عجيبة، يقول أحدهم: لو رأيت ما جرى يوم كذا بموضع كذا! ومنه قوله تعالى: ﴿وَلَوْ يَرَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ إِذْ يَرَوْنَ ٱلْعَذَابَ أَنَّ ٱلْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا﴾ [البقرة: ١٦٥]، فجواب لو محذوف للتفخيم[(١)].

قال أبو حيان: «والجواب محذوف؛ أي: لاستعظموا ذلك»[(٢)].

فالأمر أعظم من أن يذكر.

ـ أن في حذف جواب القسم دلالة على التحدي والإعجاز بهذا القرآن، حيث يُقسم بالقرآن ثم يترك الجواب، والله تعالى أعلم.

(١) ينظر: التبيان في أقسام القرآن ٧.

(٢) البحر المحيط ١/ ٦٤٥، وينظر: زاد المسير ١/ ١٧٠.

الفصل الثاني

عادات القرآن في الإضمار والإظهار والإيجاز والإطناب

وفيه ثلاثة مباحث:

- المبحث الأول: كون الإضمار يقوم مقام الإظهار.
- المبحث الثاني: إيجاز الحذف والقصر.
- المبحث الثالث: الإطناب.

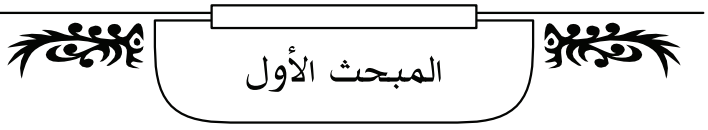

كون الإضمار يقوم مقام الإظهار

وفيه مطلبان:

- **المطلب الأول: وضع الظاهر موضع المضمر.**
- **المطلب الثاني: وضع المضمر موضع الظاهر.**

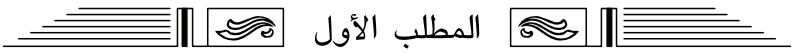

وضع الظاهر موضع المضمر

ومن أساليبِ القرآن وفنونِه البليغة وضعُ الظاهر موضعَ المضمر، لزيادة التأكيد والتقرير.

والظاهر: هو البارز.

قال ابن فارس: «الظاء والهاء والراء، أصل صحيح واحد يدل على قوةٍ وبروز، من ذلك: يظهَر ظُهوراً فهو ظَاهر، إذا انكشَفَ وبَرَز»[(١)].

والمراد به اصطلاحاً: هو إبراز اللفظ الصريح في موضع يُغني عنه الضمير[(٢)].

والمضمر: هو المُخفَى والمغَيَّب.

قال ابن فارس: «الضاد والميم والراء أصلان صحيحان، أحدهما يدل على دقةٍ في الشيء، والآخر يدل على غيبة وتستر»[(٣)].

---

(١) معجم مقاييس اللغة، مادة: (ظهر) ٣/ ٤٧١.
(٢) المغرب في ترتيب المعرب ٢/ ٤٠٢.
(٣) معجم مقاييس اللغة، مادة: (ضمر) ٣/ ٣٧١.

والمراد به اصطلاحاً: الاسم الذي يعود إلى ظاهر قبله لفظاً أو تقديراً.

قال الجرجاني: «المضمر ما وضع لمتكلم أو مخاطب أو غائب تقدم ذكره لفظاً أو معنى أو حُكْماً»(١).

والأصل في الأسماء أن تكون ظاهرة، فإذا خولف هذا الأصل فلِنُكْتَة أرادَها المتحدث، والذي يُبَيِّن هذا هو سياق الكلام وما يحيط به من دلائل وقرائن.

وأمثلة وضع الظاهر موضع المضمر كثيرة.

وعادة القرآن أن يكون هذا الأسلوب لحكمة ونكتة تُعرف من السياق، ومن ذلك:

١ ـ قصد التعظيم والتفخيم(٢):

ومن الأمثلة ما يأتي:

ـ قوله تعالى: ﴿لَّٰكِنَّا۠ هُوَ ٱللَّهُ رَبِّى وَلَآ أُشْرِكُ بِرَبِّىٓ أَحَدًا ﴿٣٨﴾﴾ [الكهف].

ـ وقوله تعالى: ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ حِزْبُ ٱللَّهِ ۚ أَلَآ إِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٢٢﴾﴾ [المجادلة: ٢٢].

ـ وقوله تعالى: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ﴿١﴾ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ﴿٢﴾﴾ [الإخلاص].

وكل ما تكرر فيه اسم من أسماء الله تعالى مع إمكان إضماره، فلِمَا في السياق من قرينةِ التعظيم.

ومِثلُه ما تكرر من أسماء القيامة، فلِمَا في الآيات من التعظيم والتفخيم لليوم الآخر وما فيه.

ـ كما في قوله تعالى: ﴿بَلْ كَذَّبُوا۟ بِٱلسَّاعَةِ ۖ وَأَعْتَدْنَا لِمَن كَذَّبَ بِٱلسَّاعَةِ سَعِيرًا ﴿١١﴾﴾ [الفرقان].

ـ وقوله تعالى: ﴿ٱلْحَآقَّةُ ﴿١﴾ مَا ٱلْحَآقَّةُ ﴿٢﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْحَآقَّةُ ﴿٣﴾﴾ [الحاقَّة].

---

(١) التعريفات ٢٧٩.

(٢) الإكسير في علم التفسير في أصول وقواعد التفسير ٢٠٥.

ـ وقوله تعالى: ﴿ٱلْقَارِعَةُ ۝١ مَا ٱلْقَارِعَةُ ۝٢ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْقَارِعَةُ ۝٣﴾ [القارعة].

قال الزمخشري: «والأصل: الحاقة ما هي؛ أي: أيُّ شيء هي؟ تفخيماً لشأنها، وتعظيماً لهولِها، فوضع الظاهر موضع المضمر؛ لأنه أهول لها»(١).

٢ ـ قصد الإهانة والتحقير، وهو عكس الحِكْمة السابقة، والفارق بينهما السياق:

ومن الأمثلة:

كلُّ ما وردَ فيه الشيطان مكرراً أو أحدُ من أتباعه.

ـ كما في قوله تعالى: ﴿ٱسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ ٱلشَّيْطَٰنُ فَأَنسَىٰهُمْ ذِكْرَ ٱللَّهِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ حِزْبُ ٱلشَّيْطَٰنِ ۚ أَلَآ إِنَّ حِزْبَ ٱلشَّيْطَٰنِ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ۝١٩﴾ [المجادلة].

ـ وقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ يَنزَغُ بَيْنَهُمْ ۚ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ كَانَ لِلْإِنسَٰنِ عَدُوًّا مُّبِينًا ۝٥٣﴾ [الإسراء: ٥٣].

ففي التصريح بذكر الشيطان في موضعِ إضماره تنفيراً وتحذيراً شديداً؛ لهوانه وحقارته، بدَلالة الخسارة والعداوة الحاصلة ممن كُرِّر لفظه.

ـ وقوله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِفِرْعَوْنَ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ وَصُدَّ عَنِ ٱلسَّبِيلِ ۚ وَمَا كَيْدُ فِرْعَوْنَ إِلَّا فِى تَبَابٍ ۝٣٧﴾ [غافر: ٣٧].

ففي إظهار [فِرْعَوْنَ] في موضع يغني عنه الضمير، زيادةُ التحقير، ودلالةٌ على سوء العمل، والميلِ عن الطريق الصحيح، والخسارةِ المحققة.

ـ وقوله تعالى: ﴿وَعَجِبُوٓا۟ أَن جَآءَهُم مُّنذِرٌ مِّنْهُمْ ۖ وَقَالَ ٱلْكَٰفِرُونَ هَٰذَا سَٰحِرٌ كَذَّابٌ ۝٤﴾ [ص].

جاء قبلها قوله تعالى: ﴿بَلِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فِى عِزَّةٍ وَشِقَاقٍ ۝٢﴾ [ص]، ولكن لقصد الوصف بالكفر، جاء مظهراً في موضع الإضمار.

قال ابن جزي: «﴿وَقَالَ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ كان الأصل: وقالوا، ولكن وضع

(١) الكشاف ٤/ ٦٠٢.

الظاهر موضع المضمر قصداً لوصفهم بالكفر»[١].

٣ ـ إزالة اللبس، عندما يكون استعمال الضمير يوهم غير المراد:

ومن الأمثلة:

ـ قوله تعالى: ﴿قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلْمُلْكِ تُؤْتِى ٱلْمُلْكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلْمُلْكَ مِمَّن تَشَآءُ﴾ [آل عمران: ٢٦].

فاستعمال الضمير في قوله: تؤتيه، يوهم أن المُلْكَ المؤتَى هو الملك الأول، فالتصريح به ليدل على أن هذا غير هذا، فيتضح المعنى ويزول اللبس.

ـ وقوله تعالى: ﴿أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِدُلُوكِ ٱلشَّمْسِ إِلَىٰ غَسَقِ ٱلَّيْلِ وَقُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ ۖ إِنَّ قُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا ﴿٧٨﴾﴾ [الإسراء].

أظهر لفظ: ﴿قُرْءَانَ﴾ في الموضع الثاني؛ لأن استعمال الضمير مكانه بقوله: إنه، يوهم عوده على الفجر، فبيَّن أن المراد هو القرآن.

ـ وقوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنۢ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِنۢ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً ۚ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ ۖ وَهُوَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْقَدِيرُ ﴿٥٤﴾﴾ [الرُّوم].

في الآية: تكرار [ضِعْفٌ] ثلاث مرات، وتكرار [قُوَّةٍ] مرتين، وأظهرها لبيان المعنى، وأن كل لفظ فيه معنى لا يؤديه الضمير.

قال الراغب: «والثاني غير الأوّل، وكذا الثالث فإن قوله: ﴿خَلَقَكُم مِّن ضَعْفٍ﴾؛ أي: من نطفة، أو من تراب، والثاني: هو الضَّعْفُ الموجودُ في الجنين والطّفل، الثالث: الذي بعد الشّيخوخة، وهو المشار إليه بأرذل العمر.

والقوّتان، الأولى: هي التي تجعل للطّفل من التّحرّك، وهدايته واستدعاء اللّبن، ودفع الأذى عن نفسه بالبكاء، والقوّة الثانية: هي التي بعد البلوغ، ويدلّ على أنّ كلّ واحد من قوله: ﴿ضِعْفٌ﴾ إشارةٌ إلى حالة غير الحالة الأولى ذِكرُه منكّراً، والمنكّر متى أعيد ذكره وأريد به ما تقدّم عُرّف[٢]؛

---

(١) التسهيل ٢/٤٣٨.

(٢) ينظر: مغني اللبيب ٦٢٣.

كقولك: رأيت رجلا، فقال لي الرّجل: كذا. ومتى ذكر ثانياً منكّراً أُريد به غير الأوّل»[١].

ـ وقوله تعالى: ﴿فَبَدَأَ بِأَوْعِيَتِهِمْ قَبْلَ وِعَآءِ أَخِيهِ ثُمَّ ٱسْتَخْرَجَهَا مِن وِعَآءِ أَخِيهِۚ﴾ [يوسف: ٧٦].

في الآية شاهدين لإزالة اللبس بإظهار المضمر:

الشاهد الأول: ﴿ثُمَّ ٱسْتَخْرَجَهَا مِن وِعَآءِ﴾ فأظهر الوعاء مع أن الأصل كفاية الضمير لتقدم ذكره فيقال: [ثم استَخْرجَها منه]، ولكن هذا يُوهِم عَوْد الضمير على أخيه، وهذا لا يصح، فأُعيد اللفظ الظاهر لنفي هذا الوارد.

الشاهد الثاني: ﴿مِن وِعَآءِ أَخِيهِۚ﴾ فأظهر أخيه، مع تقدم ذِكره، ولم يأت السياق: [ثم استخرجها من وعائه]؛ لأنه يوهم أن الضمير يعود على يوسف؛ لأنه أقرب مذكور، فضمير الفاعل في ﴿ٱسْتَخْرَجَهَا﴾ يعود على يوسف، فأظهر اللفظ للبيان، وإزالة الوَهْم.

٤ ـ قصد العموم وبيان سبب الحكم:

ومن الأمثلة:

ـ قوله تعالى: ﴿وَمَآ أُبَرِّئُ نَفْسِيٓۚ إِنَّ ٱلنَّفْسَ لَأَمَّارَةٌۢ بِٱلسُّوٓءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّيٓۚ إِنَّ رَبِّي غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٥٣﴾﴾ [يوسف].

فأظهر النفس ثانية، ولو اكتفي بالضمير، فقيل: إنها لأمارة؛ لاقتضى تخصيص ذلك؛ فجاء بالظاهر ليدل على أن المراد التعميم، وزاد دلالة التعميم الاستثناء ﴿إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّيٓۚ﴾، وقال تعالى: ﴿إِنَّ رَبِّي غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٥٣﴾﴾، ولم يقل: إنه، فأظهر لفظ الرب ـ والله أعلم ـ تعظيماً وبياناً لكمال مغفرته ورحمته[٢].

ـ وقوله جل وعلا: ﴿فَبَدَّلَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ قَوْلًا غَيْرَ ٱلَّذِي قِيلَ لَهُمْ فَأَنزَلْنَا عَلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ رِجْزًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ بِمَا كَانُواْ يَفْسُقُونَ ﴿٥٩﴾﴾ [البقرة].

---

(١) مفردات ألفاظ القرآن ٥٠٧.

(٢) ينظر: البحر المحيط ١/ ٣٨٦.

على معنى: أن الجميع بدلوا وسبب التبديل الظلم، فأظهر الظلم في موضع الإضمار إشعاراً بالعلة التي كانت سبباً لاستحقاقهم العذاب[١].

ـ وقوله تعالى: ﴿إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَإِنَّ ٱلظَّنَّ لَا يُغْنِى مِنَ ٱلْحَقِّ شَيْـًٔا ﴿٢٨﴾﴾ [النَّجم: ٢٨].

أظهر الظنَّ لتعميم الحكم على الظن أنه لا يغني من الحق شيئاً، ولو استُعمل الضمير فقيل: إنه، لاقتضى تخصيص الحكم على ظنهم، فأظهر لبيان العموم.

ـ وقوله تعالى: ﴿وَقَوْمَ نُوحٍ لَّمَّا كَذَّبُوا۟ ٱلرُّسُلَ أَغْرَقْنَٰهُمْ وَجَعَلْنَٰهُمْ لِلنَّاسِ ءَايَةً ۖ وَأَعْتَدْنَا لِلظَّٰلِمِينَ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿٣٧﴾﴾ [الفرقان].

قال ابن جزي: «﴿وَأَعْتَدْنَا لِلظَّٰلِمِينَ﴾ يحتمل أن يريد بالظالمين من تقدم، ووضع هذا الاسم الظاهر موضع المضمر؛ لقصد وصفهم بالظلم، أو يريد الظالمين على العموم»[٢].

ـ وقوله سبحانه: ﴿فَلَمَّا جَآءَهُم مَّا عَرَفُوا۟ كَفَرُوا۟ بِهِۦ ۚ فَلَعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٨٩﴾﴾ [البقرة: ٨٩].

والأصل: عليهم، لتقدم ذكره؛ فأفاد الإظهار الدلالة على أن اللعنة لحقتهم بسبب الكفر[٣].

ـ وقوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يُمَسِّكُونَ بِٱلْكِتَٰبِ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُصْلِحِينَ ﴿١٧٠﴾﴾ [الأعراف].

أظهر لفظ [الْمُصْلِحِينَ] وهم من ذُكِر سابقاً؛ تنبيهاً على أن صلاحهم علة نجاتهم[٤].

قال ابن تيمية: «ولم يقل: أجرهم، تعليقاً لهذا الحكم بالوصف؛ وهو كونهم مصلحين، وليس في الضمير ما يدل على الوصف المذكور»[٥].

---

(١) ينظر: البرهان ٢/ ٤٩٥.
(٢) التسهيل ٢/ ٢٨١.
(٣) ينظر: البرهان ٢/ ٤٩٣.
(٤) ينظر: الإتقان ٢/ ٢١٧.
(٥) مجموع الفتاوى ١٤/ ٨٩.

لقد ظهر من ذلك كله:

أن عادة القرآن عند استعمال الظاهر موضع المضمر أن يكون لنكتة تُعلم من السياق[١].

١ ـ إما للتعظيم. ٢ ـ أو للإهانة.

٣ ـ أو لإزالة اللبس. ٤ ـ أو لقصد العموم.

٥ ـ أو لبيان علة الحكم، أو غيرها.

قال ابن جزي: «وضع الظاهر موضع المضمر، فتُكَرر الكلمة على وجه التعظيم، أو التهويل، أو مدح المذكور، أو ذمه، أو للبيان»[٢].

بل ومن الحِكم التي ذكرها العلماء الاستلذاذ بذكر اللفظ الظاهر في موضع إضماره[٣]، ومن الأمثلة قوله تعالى: ﴿وَقَالُواْ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى صَدَقَنَا وَعْدَهُۥ وَأَوْرَثَنَا ٱلْأَرْضَ نَتَبَوَّأُ مِنَ ٱلْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَآءُ﴾ [الزُّمر: ٧٤]، ولم يقل: نتبوأ منها، تلذذاً بذكر الجنة، نسأل الله الكريم من فضله؛ ولهذا عدل عن ذكر الأرض إلى الجنة؛ وإن كان المراد بالأرض الجنة[٤].

قال ابن الجوزي: «﴿وَأَوْرَثَنَا ٱلْأَرْضَ﴾؛ أي: أرض الجنة»[٥]، والله تعالى أعلم.

المطلب الثاني

وضع المضمر موضع الظاهر

من عادة القرآن استعمال المضمر موضع الظاهر، وهو خلاف مقتضى الظاهر[٦]، ولا يكون هذا إلا لفائدة أعلى.

---

(١) ينظر: مجموع فتاوى ابن تيمية ١٤/ ٨٨، الإيضاح في علوم البلاغة ٧٣، البرهان ٢/ ٤٨٢، وما بعدها، قواعد التفسير ١/ ٣٣٩.

(٢) التسهيل ١/ ٢٤.

(٣) ينظر: الإيضاح في علوم البلاغة ٤٠.

(٤) ينظر: البرهان ٢/ ٤٨٧.

(٥) زاد المسير ٥/ ٢٨١.

(٦) ينظر: الإيضاح في علوم البلاغة ٢٧.

والمراد: استعمال الضمير مكان الظاهر بحيث لا يوجد ما يعود عليه الضمير.

ـ كما قال تعالى: ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ﴿٢٦﴾﴾ [الرَّحمٰن].

ففي قوله: ﴿عَلَيْهَا﴾ عاد الضمير على شيء يفهم من السياق، وليس في السياق، وهو الأرض(١).

قال مكي: «يعني: من على وجه الأرض، ومن يكون فيها بالموت، وأُضمِرت الأرض ولم يتَقَدم ذِكرها لظهور المعنى»(٢).

ـ وقوله تعالى: ﴿وَلَوْ يُؤَاخِذُ ٱللَّهُ ٱلنَّاسَ بِظُلْمِهِم مَّا تَرَكَ عَلَيْهَا مِن دَآبَّةٍ﴾ [النحل: ٦١].

المراد: على الأرض، لم يجر للأرض ذِكر، بل عاد الضمير على ما فُهِم من السياق(٣).

ـ ومثله قول الله تعالى: ﴿وَلَوْ يُؤَاخِذُ ٱللَّهُ ٱلنَّاسَ بِمَا كَسَبُواْ مَا تَرَكَ عَلَىٰ ظَهْرِهَا مِن دَآبَّةٍ﴾ [فاطر: ٤٥]؛ أي: ظهر الأرض(٤).

قال ابن قتيبة: «يريد: على الأرض»(٥).

وقال الرازي: «﴿مَا تَرَكَ عَلَىٰ ظَهْرِهَا مِن دَآبَّةٍ﴾ ولم يذكر الأرض؛ لكونها معلومة»(٦).

وهذا من أساليب الإيجاز، والإبهام أحياناً، ومن أساليب الخروج عن مقتضى الظاهر(٧).

ولذلك قال في الجوهر المكنون:

وخرجوا عن مقتضى الظواهرِ ... كَوَضْعِ مُضْمَرٍ مَكانَ ظاهِرِ
لنكتةٍ(٨) ....

---

(١) ينظر: المحرر الوجيز ٥/٢٠٩، التسهيل لعلوم التنزيل ٣/١١١.
(٢) الهداية إلى بلوغ النهاية ١١/٧٢٢٣.
(٣) ينظر: الدر المصون ٩/٢٤٢.
(٤) ينظر: الكشاف ٣/٦٢٨.
(٥) تأويل مشكل القرآن ١٤٣.
(٦) تفسير الرازي ٢٨/٢٤.
(٧) ينظر: الإيضاح في علوم البلاغة ٧٢.
(٨) الجوهر المكنون للأخضري ٤ فصل في الخروج عن مقتضى الظاهر بيت (٨٦).

فالمراد: أن وضع المضمر موضع الظاهر نوعٌ من الخروج عن مقتضى الظاهر إلى مطابقة ظاهر الحال، ولا يكون ذلك إلا لفائدةٍ(١).

ومن مواضع استعمال المضمر موضع الظاهر:

ما يكون في ضمير الشأن والقصة.

وهو ضمير غائب يسبقُ الجملة لا يحتاج إلى اسم ظاهر يعود إليه، بل يعود إلى ما في الذهن من شأن أو قصة، وهو مضمون الجملة التي بعده(٢).

قال الزركشي: «وهو الضمير المجهول الذي يلزمه التفسير بجملة أو مفرد»(٣).

ومن الأمثلة على ذلك:

ـ قوله تعالى: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١﴾ [الإخلاص].

فـ ﴿هُوَ﴾ ضمير الشأن، وجملة ﴿ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١﴾ بيّنت الغرضَ من الضمير، وهو التفخيم والتعظيم لما بعده، ليتمكن ما يعقبه في نفوس السامعين، وحَسُن استعماله لاشتهار الاسم الظاهر؛ أي: الشأن الله أحد.

قال الزمخشري: «[هُوَ] ضمير الشأن، و[اللَّهُ أَحَدٌ] هو الشأن»(٤).

وقال أبو السعود: «﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١﴾ الضمير للشأن، ومدار وضْعِه موضِعَه مع عدم سبق ذكره: الإيذان بأنه من الشهرة والنباهة؛ بحيث يستحضره كل أحد، وإليه يشير كل مشير، وإليه يعود كل ضمير، كما ينبئ عنه اسمه الذي أصله القصد»(٥).

ـ وقوله تعالى: ﴿يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّهُۥٓ أَنَا ٱللَّهُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ۝٩﴾ [النمل].

الهاء ضمير الشأن، وبيانه بعده(٦).

---

(١) ينظر: حلية اللب المصون على الجوهر المكنون للدمنهوري ٢٤.
(٢) ينظر: كشاف اصطلاحات الفنون ١/ ٤٠٩، الكليات ٨٩٩.
(٣) البرهان ٤/ ٢٩.
(٤) الكشاف ٤/ ٨٢٢، وينظر: تفسير البيضاوي ٥/ ٥٤٧.
(٥) تفسير أبي السعود ٩/ ٢١٢، ينظر: البرهان ٤/ ٢٩.
(٦) ينظر: البحر المحيط ٧/ ٥٥.

قال العكبري: «قوله تعالى: ﴿إِنَّهُۥٓ أَنَا ٱللَّهُ﴾ الهاء: ضمير الشأن، وأنا الله: مبتدأ وخبر»(١).

ـ وقوله تعالى: ﴿لَّٰكِنَّا۠ هُوَ ٱللَّهُ رَبِّى وَلَآ أُشْرِكُ بِرَبِّىٓ أَحَدًا ﴿٣٨﴾﴾ [الكهف].

قال أبو السعود: «﴿هُوَ﴾ ضمير الشأن، وهو مبتدأ خبره الله ربي»(٢).

ـ وقوله تعالى: ﴿وَأَنَّهُۥ لَمَّا قَامَ عَبْدُ ٱللَّهِ يَدْعُوهُ كَادُوا۟ يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَدًا ﴿١٩﴾﴾ [الجنّ](٣).

قال البقاعي: «﴿وَأَنَّهُۥ﴾ أن: الشأن أو القصة العظيمة العجيبة»(٤).

ـ وقوله تعالى: ﴿قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُۥ لَيَحْزُنُكَ ٱلَّذِى يَقُولُونَ فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَٰكِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ يَجْحَدُونَ ﴿٣٣﴾﴾ [الأنعام].

إنه: ضمير الشأن؛ أي: نعلم إن الذي يقولون ليحزنك(٥).

قال أبو حيان: «والضمير في ﴿أَنَّهُۥ﴾ ضمير الشأن، والجملة بعده مفسرة له في موضع خبر إن»(٦).

ـ وقوله تعالى: ﴿فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى ٱلْأَبْصَٰرُ وَلَٰكِن تَعْمَى ٱلْقُلُوبُ ٱلَّتِى فِى ٱلصُّدُورِ ﴿٤٦﴾﴾ [الحج: ٤٦].

فـ(ها) في قوله: إنها ضمير القصة، وقوله: ﴿لَا تَعْمَى ٱلْأَبْصَٰرُ﴾ مفسرة له(٧).

قال الزمخشري: «﴿فَإِنَّهَا﴾ الضمير ضمير الشأن والقصة»(٨).

ـ وقوله تعالى: ﴿يَٰبُنَىَّ إِنَّهَآ إِن تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ فَتَكُن فِى صَخْرَةٍ أَوْ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ أَوْ فِى ٱلْأَرْضِ يَأْتِ بِهَا ٱللَّهُ إِنَّ ٱللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ ﴿١٦﴾﴾ [لقمان].

المعنى: إن المعصية إن تك مثقال حبة من خردل.

قال ابن كثير: «فقال: ﴿يَٰبُنَىَّ إِنَّهَآ إِن تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ﴾؛ أي:

---

(١) التبيان في إعراب القرآن ٢/ ١٠٠٥.
(٢) تفسير أبي السعود ٥/ ٢٢٢.
(٣) ينظر: البرهان ٢/ ٤١٠.
(٤) نظم الدرر ٨/ ١٩٤.
(٥) ينظر: الكشاف ٢/ ١٨.
(٦) ينظر: البحر المحيط ٤/ ١١٥.
(٧) ينظر: الدر المصون ٨/ ٢٨٨، تفسير أبي السعود ٦/ ١١١، روح المعاني ١٧/ ١٦٧.
(٨) الكشاف ٣/ ١٦٤.

إن المظلمة أو الخطيئة لو كانت مثقال حبة من خردل، وجوز بعضهم أن يكون الضمير في قوله: ﴿إِنَّهَا﴾ ضمير الشأن والقصة»[١].

ـ وقوله تعالى: ﴿وَقَالُوٓاْ إِنۡ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنۡيَا وَمَا نَحۡنُ بِمَبۡعُوثِينَ ٢٩﴾ [الأنعام].

التقدير: إن الحياة إلا حياتنا الدنيا، فإظهار الخبر بعدها يدل عليها ويبينها[٢].

ومن أمثلة استعمال المضمر موضع المظهر:

ـ قوله تعالى: ﴿قُلۡ مَن كَانَ عَدُوّٗا لِّجِبۡرِيلَ فَإِنَّهُۥ نَزَّلَهُۥ عَلَىٰ قَلۡبِكَ بِإِذۡنِ ٱللَّهِ مُصَدِّقٗا لِّمَا بَيۡنَ يَدَيۡهِ وَهُدٗى وَبُشۡرَىٰ لِلۡمُؤۡمِنِينَ ٩٧﴾ [البقرة].

فقوله: ﴿فَإِنَّهُۥ﴾ إضمار في مقام الإظهار، دلالة على التفخيم والتعظيم.

قال القرطبي: «وقوله تعالى: ﴿فَإِنَّهُۥ نَزَّلَهُۥ عَلَىٰ قَلۡبِكَ﴾ الضمير في (إنَّه) يحتمل معنيين، الأول: فإن الله نزل جبريل على قلبك. الثاني: فإن جبريل نزل بالقرآن على قلبك»[٣].

وعلى كلا القولين ففيه إضمار في موضع الإظهار؛ لأنه لم يرد في السياق اسم ظاهر يعود عليه، سواء كان الضمير عائداً على الله جل وعلا، أو كان عائداً على جبريل[٤].

ـ وقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَمَاتُواْ وَهُمۡ كُفَّارٌ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَيۡهِمۡ لَعۡنَةُ ٱللَّهِ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلنَّاسِ أَجۡمَعِينَ ١٦١ خَٰلِدِينَ فِيهَاۖ لَا يُخَفَّفُ عَنۡهُمُ ٱلۡعَذَابُ وَلَا هُمۡ يُنظَرُونَ ١٦٢﴾ [البقرة].

فقوله: ﴿خَٰلِدِينَ فِيهَا﴾؛ أي: خالدين في النار، ولم يجر لها ذكر، ولكنه يفهم من السياق.

قال ابن عطية: «وقرائن الآية تقتضي أن هذه اللعنة مخلدة لهم في جهنم، فالضمير عائد على النار، وإن كان لم يجر لها ذكر؛ لأن المعنى

---

(١) تفسير ابن كثير ٦/ ٣٣٧.
(٢) ينظر: البحر المحيط ٤/ ١٠٩.
(٣) تفسير القرطبي ٢/ ٣٦.
(٤) ينظر: المحرر الوجيز ١/ ١٦٦.

يُفهِمها في هذا الموضع، كما يُفهِم قوله تعالى: ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ﴿٢٦﴾﴾ [الرَّحمٰن] أنها الأرض، وقد قال بعض الخراسانيين في قوله تعالى: ﴿إِنَّمَآ أَنتَ مُنذِرُ مَن يَخْشَىٰهَا ﴿٤٥﴾﴾ [النَّازعات] إن الضمير عائدٌ على النار»[(١)].

ـ وقوله تعالى: ﴿وَلِأَبَوَيْهِ لِكُلِّ وَٰحِدٍ مِّنْهُمَا ٱلسُّدُسُ﴾ [النساء: ١١].

أي: ولأبوي الميت، دل عليه معنى الكلام وسياقه[(٢)].

قال البغوي: «﴿وَلِأَبَوَيْهِ﴾؛ يعني: لأبوي الميت، كناية عن غير مذكور»[(٣)].

وقال الزركشي: «﴿وَلِأَبَوَيْهِ لِكُلِّ وَٰحِدٍ مِّنْهُمَا ٱلسُّدُسُ﴾ الضمير يعود على الميت، وإن لم يتقدم له ذكر، إلا أنه لما قال: ﴿يُوصِيكُمُ ٱللَّهُ فِىٓ أَوْلَٰدِكُمْ﴾ [النساء: ١١]، عُلِم أن ثم ميتاً يعود الضمير عليه»[(٤)].

ـ وقوله تعالى: ﴿فَقَالَ إِنِّىٓ أَحْبَبْتُ حُبَّ ٱلْخَيْرِ عَن ذِكْرِ رَبِّى حَتَّىٰ تَوَارَتْ بِٱلْحِجَابِ ﴿٣٢﴾﴾ [ص].

فالمراد: توارت الشمس، ولم ترد في السياق ولكنها معلومة منه بوضوح[(٥)].

ـ وقوله تعالى: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ ﴿١﴾﴾ [القدر].

في قوله: ﴿أَنزَلْنَٰهُ﴾ ضمير يعود على غير مذكور في السياق، والأصل إظهاره، ولكن لمعرفة الاسم الظاهر واشتهاره، وهو القرآن، استُعمل الضمير لفائدة التعظيم والتفخيم.

قال أبو حيان: «والضمير عائد على ما دل عليه المعنى، وهو ضمير القرآن»[(٦)].

وقال القرطبي: «قوله تعالى: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ﴾ يعنى القرآن، وإن لم يجْرِ له ذكر في هذه السورة؛ لأن المعنى معلوم»[(٧)].

---

(١) المحرر الوجيز ١/ ٤٨٧.
(٢) ينظر: البحر المحيط ٣/ ١٩١.
(٣) تفسير البغوي ٢/ ١٧٧.
(٤) البرهان ٤/ ٢٧.
(٥) ينظر: المحرر الوجيز ٥/ ٢٠٩.
(٦) البحر المحيط ٨/ ٤٩٢.
(٧) تفسير القرطبي ٢٠/ ١٢٩.

فظهر من ذلك:

ـ أن عادة القرآن عند استعمال المضمر موضع الظاهر ـ وهو خلاف الأصل ـ أن يكون لنكتة تُعلم من السياق[١].

ـ أن أكثر مواضعه في ضمير الشأن أو القصة؛ ليتمكن ما بعده في ذهن السامع.

قال الزركشي: «ويفعلون ذلك في مواضع التفخيم، والغرض منه: أن يتطلع السامع إلى الكشف عنه، وطلب تفسيره، وحينئذ تورد الجملة المفسرة له»[٢].

فأهم فوائد استعمال ضمير الشأن أو القصة:

أن يتمكن في ذهن السامع ما يعقبه، فإذا لم يفهم السامع من الضمير معنى انتظر عقبى الكلام كيف يكون، فيتمكن المسموع بعده في الذهن أكثر.

قال القزويني[٣] عما سبق: «وهو السر في التزام تقديم ضمير الشأن أو القصة، قال الله تعالى: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١﴾ [الإخلاص]، وقال: ﴿إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلْكَٰفِرُونَ ۝١١٧﴾ [المؤمنون: ١١٧]، وقال: ﴿فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى ٱلْأَبْصَٰرُ﴾ [الحج: ٤٦]»[٤].

فحصول العلم بعد التشوق إلى فهمه أوقع في النفس، وفيه لذة العلم ودفع ألم التشوق، فإذا وضِّح وفسِّر حل محلاً رفيع القدر لديها، واللذة المشتملة على دفع الألم، أحلى من مجرد اللذة الحاصلة بدونه.

---

(١) ينظر: مجموع فتاوى ابن تيمية ١٤/ ٨٨، الإيضاح في علوم البلاغة ٧٣، البرهان ٢/ ٤٨٢، وما بعدها، قواعد التفسير ١/ ٣٣٩.

(٢) البرهان ٢/ ٤١٠.

(٣) هو: محمد بن عبد الرحمٰن بن عمر، أبو المعالي، جلال الدين القزويني الشافعي، المعروف بخطيب دمشق، قاض فقيه، أديب بالعربية والتركية والفارسية، من مصنفاته: «تلخيص المفتاح في المعاني والبيان»، و«الإيضاح في علوم البلاغة»، و«السور المرجاني من شعر الأرجاني»، مات سنة (٧٣٩هـ)، له ترجمة في: طبقات الشافعية ٥/ ٢٣٨، الدرر الكامنة ٤/ ٣.

(٤) الإيضاح في علوم البلاغة ٧٢.

ـ ومن فوائد إضمار المظهر:

١ ـ المبالغة وتعظيم الشأن والقصة وتفخيم المضمر، ومن ثمّ فأكثر ما يكون في المواضع التي يقصد فيها التفخيم.

كما في قوله تعالى: ﴿إِنَّهُۥٓ أَنَا ٱللَّهُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ۝٩﴾ [النمل: ٩].

فجاء بضمير الشأن تعظيماً لله جل في علاه.

وكذلك يفيد معه معنى الانفراد كما في قوله تعالى: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١﴾ [الإخلاص].

أي: المنفرد بالأحدية[١].

قال أبو السعود: «والسر في تصدير الجملة به: التنبيه من أول الأمر على فخامة مضمونها، وجلالة حيزها، مع ما فيه من زيادة تحقيق وتقرير، فإن الضمير لا يفهم منه من أول الأمر إلا شأن مبهم، له خطر جليل، فيبقى الذهن مترقباً لما أمامه مما يفسره ويزيل إبهامه فيتمكن عند وروده له فَضْلَ تمكن»[٢].

٢ ـ الإيجاز والاختصار، ومراعاة حسن النظم.

قال العكبري: «وإنَّما جيء بالضمائر للاختصار»[٣].

وقال الزركشي عند قوله تعالى: ﴿فَإِن كَانَتَا ٱثْنَتَيْنِ فَلَهُمَا ٱلثُّلُثَانِ مِمَّا تَرَكَ﴾ [النساء: ١٧٦]: «وأما في آية المواريث، فالظاهر أن الضمير وضع موضع الظاهر اختصاراً؛ لبيان المعنى، بدليل أنه لم يتقدمه ما يدل عليه لفظاً، فكأنه قال: فإن كان الوارث اثنين، ثم وضع ضمير الاثنين موضعَ الوارث الذي هو جنس، لمّا كان المراد به منه الاثنان، وأيضاً فإن الإخبار عن الوارث ـ وإن كان جمعاً ـ باثنين ففيه تفاوت ما؛ لكونه مفرد اللفظ، فكان الأليق بحسن النظم وضع المضمر موضع الظاهر، ثم يجري الخبر على من حُدِّث عنه ـ وهو الوارث ـ فيجري الكلام في طريقه، مع الإيجاز في وضع المضمر موضع الظاهر، والسلامة من تفاوت اللفظ، في الإخبار عن لفظٍ مفردٍ بمثنى»[٤].

---

(١) ينظر: البرهان ٢/ ٤١٠.
(٢) تفسير أبي السعود ٩/ ٢١٢.
(٣) اللباب في علل البناء والإعراب ١/ ٤٧٤.
(٤) البرهان ٢/ ٤٤٠، ينظر: ٤/ ٢٩.

٣ ـ بيان شهرة المضمر، حتى كأنه من زيادة شهرته دل على نفسه، فاكتفي عن اسمه الصريح بذكر شيء من صفاته؛ كقوله تعالى: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ ۝١﴾ [القدر]؛ يعني القرآن، وقوله: ﴿فَإِنَّهُۥ نَزَّلَهُۥ عَلَىٰ قَلْبِكَ﴾ [البقرة: ٩٧][1]، والله تعالى أعلم.

(١) ينظر: تفسير الرازي ٣/ ١٧٩، البرهان ٤/ ٢٤.

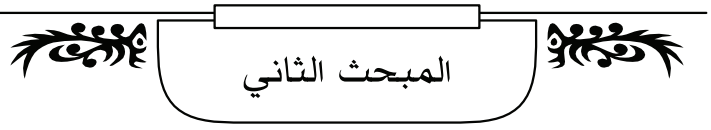

إيجاز الحذف والقصر

وفيه مطلبان:

- **المطلب الأول: إيجاز الحذف.**
- **المطلب الثاني: إيجاز القصر.**

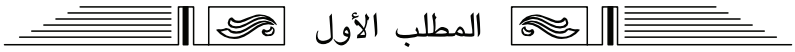

إيجاز الحذف

الإيجاز لغة: الاختصار.

قال ابن منظور: «أوْجَزَه: اختصره»[(١)].

واصطلاحاً: أداء المقصود من الكلام بأقل من عبارةِ متَعَارَفِ الأوْسَاط[(٢)].

قال مكي: «ومعنى الإيجاز: هو إظهار المعاني الكثيرة باللفظ القليل»[(٣)].

وبعض العرب كان يعد الإيجاز هو البلاغة.

قال ابن الجوزي: «وقد تكلم العلماء في حد البلاغة، فقال بعضهم: البلاغة إيصال المعنى إلى القلب في أحسن صورة من اللفظ، وقيل: البلاغة حسن العبارة مع صحة المعنى، وقيل: البلاغة الإيجاز مع الإفهام والتصرف من غير إضجار»[(٤)].

---

(١) لسان العرب ٥/ ٤٢٧.
(٢) الإيضاح في علوم البلاغة ١٧٩.
(٣) الهداية إلى بلوغ النهاية ٦/ ٤٢٨٥.
(٤) زاد المسير ٢/ ١٢٢.

ومن المعلوم أن لكل مقام مقالاً فالإيجاز إنما يحسن في مواضعه، وقد جمع الكتاب العظيم بين الإيجاز والإطناب والحذف والتكرار، وهذا هو كمال البلاغة.

قال ابن قتيبة: «ولو كان الإيجاز محموداً في كل الأحوال لجرده الله تعالى في القرآن، ولم يفعل الله ذلك، ولكنه أطال تارة للتوكيد، وحذفه تارة للإيجاز، وكرر تارة للإفهام»[١].

والإيجاز على قسمين[٢]:

القسم الأول:

إيجاز الحذف: وهو ما حُذف فيه كلمة أو جملة أو أكثر مع بقاء ووجود قرينة تشير إلى الشيء المحذوف[٣].

القسم الثاني:

إيجاز القصر: وهو أن يَقْصُر اللفظ عن معناه، فتقل الكلمات ويزيد المعنى دون حذف[٤]، وسيأتي بيانه في المطلب التالي.

وقد جاء الإيجاز في القرآن بقسميه[٥].

قال الجرجاني: «فما من اسم أو فعلٍ تجدُه قد حُذِف، ثم أُصيبَ به موضعُه، وحُذِف في الحال يَنْبغي أنْ يُحذَفَ فيها، إلَّا وأنت تجدُ حذفَه هناك أحسنَ من ذكرِهِ، وترى إضمارَه في النفس أولى وآنس مِنَ النطق به»[٦].

وقال ابن الأثير: «أما الإيجاز بالحذف فإنه عجيب الأمر، شبيه بالسحر، وذاك أنك ترى فيه ترك الذكر أفصح من الذكر والصمت عن الإفادة أزيد للإفادة، وتجدك أنطق ما تكون إذا لم تنطق، وأتم ما تكون مبيناً إذا لم تبين... والأصل في المحذوفات جميعاً على اختلاف ضروبها أن يكون في الكلام ما يدل على المحذوف، فإن لم يكن هناك دليل على المحذوف فإنه

---

(١) أدب الكاتب ١٥.
(٢) ينظر: البرهان ٣/ ٢٢٠.
(٣) ينظر: الإيضاح ١٨٧.
(٤) ينظر: الكليات ٣٢٤.
(٥) ينظر: البرهان ٣/ ٢٢٠.
(٦) دلائل الإعجاز ١٢٦، ١٢٧.

لغو من الحديث لا يجوز بوجه ولا سبب، ومن شرط المحذوف في حكم البلاغة أنه متى أظهر صار الكلام إلى شيء غث لا يتناسب ما كان عليه أولا من الطلاوة والحسن»[١].

والحديث هنا عن إيجاز الحذف، وقد اجتمع في القرآن إيجاز الحذف مع كمال المعنى والبلاغة.

وكل أمثلة الفصل السابق ـ في مباحث الحذف المتنوعة ـ صالحةٌ أن تكون مثالاً لهذا الأسلوب.

ولهذا فسأشير هنا على سبيل الاختصار لأنواع إيجاز الحذف وأمثلته:

فمِن أنواع إيجاز الحذف:

١ ـ حذف الحرف.

ـ كقوله تعالى: ﴿قَالُواْ تَٱللَّهِ تَفْتَؤُاْ تَذْكُرُ يُوسُفَ حَتَّىٰ تَكُونَ حَرَضًا أَوْ تَكُونَ مِنَ ٱلْهَٰلِكِينَ ﴿٨٥﴾﴾ [يوسف].

حُذِفت [لَا] من الكلام وهي مرادة في المعنى، فالتقدير: لا تفتأ.

قال ابن عطية: «المعنى: تالله لا تفتأ فتحذف لا في هذه الموضع من القَسَم لدَلالة الكلام عليها»[٢].

ـ وقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ بِطَانَةً مِّن دُونِكُمْ لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا وَدُّواْ مَا عَنِتُّمْ قَدْ بَدَتِ ٱلْبَغْضَآءُ مِنْ أَفْوَٰهِهِمْ وَمَا تُخْفِى صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ﴾ [آل عمران: ١١٨].

حُذِفت [واو] العطف، التقدير: لا يألونكم خبالاً وودوا.

٢ ـ حذف المبتدأ.

ـ كما في قوله تعالى: ﴿عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ٱلْكَبِيرُ ٱلْمُتَعَالِ ﴿٩﴾﴾ [الرعد].

عالمُ: خبر لمبتدأ محذوف والتقدير: هو عالمُ[٣].

---

(١) المثل السائر ٢/ ٧٦.
(٢) المحرر الوجيز ٣/ ٢٨٠.
(٣) ينظر: التبيان في إعراب القرآن ٢/ ٧٥٣.

٣ ـ حذف الخبر.

ـ كما في قوله تعالى: ﴿أُكُلُهَا دَآئِمٌ وَظِلُّهَا﴾، فالخبر محذوف؛ أي: وظلها دائمٌ[١].

٤ ـ حذف الفعل.

ـ كما في قوله تعالى: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ فَأَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴿٦١﴾﴾ [العنكبوت].

التقدير: خلقهن الله[٢].

٥ ـ حذف الفاعل والاكتفاء في الدلالة عليه بذكر الفعل.

ـ كما في قوله تعالى: ﴿فَلَوْلَآ إِذَا بَلَغَتِ ٱلْحُلْقُومَ ﴿٨٣﴾﴾ [الواقعة].

والتقدير: بلغت النفسُ الحلقوم؛ يدل على ذلك الضمير في الفعل بلغت.

قال ابن قتيبة: «﴿فَلَوْلَآ إِذَا بَلَغَتِ ٱلْحُلْقُومَ ﴿٨٣﴾﴾؛ أي: فهلا إذا بلغت النفسُ الحلقوم»[٣].

٦ ـ حذف المفعول به.

ـ كما في قوله تعالى: ﴿وَأَنَّهُۥ هُوَ أَضْحَكَ وَأَبْكَىٰ ﴿٤٣﴾﴾ [النَّجم]، وما بعدها.

فالأفعال: [أضحك وأبكى وأمات وأحيا] قد حُذفَت مفاعيلها؛ لإفادة العموم.

قال الرازي: «﴿أَضْحَكَ وَأَبْكَىٰ ﴿٤٣﴾﴾ لا مفعول لهما في هذا الموضع؛ لأنهما مسوقتان لقدرة الله لا لبيان المقدور، فلا حاجة إلى المفعول»[٤].

٧ ـ حذف الموصوف.

ـ كما في قوله تعالى: ﴿وَءَاتَيْنَا ثَمُودَ ٱلنَّاقَةَ مُبْصِرَةً فَظَلَمُوا۟ بِهَا﴾ [الإسراء: ٥٩].

---

(١) ينظر: الهداية إلى بلوغ النهاية ٥/ ٣٧٤٧، الكشاف ٢/ ٥٠١، أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك ٣/ ٢٢٣.

(٢) ينظر: البرهان ٣/ ٢٠٠.

(٣) غريب القرآن ٤٥٢.

(٤) تفسير الرازي ٢٩/ ٢٨٠.

والمراد: آية مبصرة؛ لأنه لا معنى لوصف الناقة بأنها مبصرة، والدليل وصف الله تعالى للآيات بالإبصار في قوله سبحانه: ﴿فَلَمَّا جَآءَتْهُمْ ءَايَٰتُنَا مُبْصِرَةً قَالُوا۟ هَٰذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿١٣﴾﴾ [النمل].

قال القرطبي: «معناه: آية مبصرة فظلموا أنفسهم بقتلها، فالناظر إلى ظاهر العربية يظن أن المراد به: أن الناقة كانت مبصرة، ولا يدري بما ذا ظلموا، وأنهم ظلموا غيرهم وأنفسهم، فهذا من الحذف والإضمار، وأمثال هذا في القرآن كثير»(١).

وقال الزركشي: «وليس المراد: أن الناقة كانت مبصرة لا عمياء»(٢).

٨ ـ حذف الصفة.

ـ كما في قوله تعالى: ﴿وَكَانَ وَرَآءَهُم مَّلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا ﴿٧٩﴾﴾ [الكهف: ٧٩].

والتقدير: يأخذ كل سفينة صحيحة أو صالحة؛ بدليل ما قبله(٣).

٩ ـ حذف المضاف وإقامة المضاف إليه مقامه.

ـ كما قال تعالى: ﴿وَجَٰهِدُوا۟ فِى ٱللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِۦ﴾ [الحج: ٧٨].

أي: في سبيل الله(٤).

١٠ ـ حذف المضاف إليه.

ـ كما قال تعالى: ﴿وَوَٰعَدْنَا مُوسَىٰ ثَلَٰثِينَ لَيْلَةً وَأَتْمَمْنَٰهَا بِعَشْرٍ﴾ [الأعراف: ١٤٢].

أي: بعشر ليالٍ(٥).

١١ ـ حذف جواب الشرط.

ـ كما في قوله تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّقُوا۟ مَا بَيْنَ أَيْدِيكُمْ وَمَا خَلْفَكُمْ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٤٥﴾﴾ [يس].

---

(١) تفسير القرطبي ١/ ٣٤.
(٢) البرهان ٢/ ٢١١.
(٣) ينظر: الإيضاح ١٨٨.
(٤) ينظر: تفسير البغوي ٥/ ٤٠٢.
(٥) ينظر: تفسير الطبري ١٣/ ٨٦.

أي: أعرضوا وأصروا على تكذيبهم[١]، دل على ذلك قوله تعالى بعدها: ﴿وَمَا تَأْتِيهِم مِّنْ ءَايَةٍ مِّنْ ءَايَٰتِ رَبِّهِمْ إِلَّا كَانُوا۟ عَنْهَا مُعْرِضِينَ ﴿٤٦﴾﴾ [يس].

١٢ ـ حذف الجملة.

ـ كما في قوله تعالى: ﴿كَانَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً فَبَعَثَ ٱللَّهُ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ﴾ [البقرة: ٢١٣].

والتقدير: فاختلفوا فبعث الله النبيين[٢].

قال البيضاوي: «أي: فاختلفوا فبعث الله، وإنما حُذِف لِدَلالة قوله: ﴿فِيمَا ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ﴾ [البقرة: ٢١٣]»[٣].

يظهر بعد هذه الأنواع أن من أهم فوائد إيجاز الحذف في القرآن:

١ ـ الاختصار عند تحقق ظهور المعنى المراد.

٢ ـ أن الإيجاز هو البلاغة في المواضع التي يكون فيها المقام لا يحتاج إلى تطويل.

٣ ـ التفخيم وذلك بسبب ما يحدثه الحَذف في نفس السامع من الإبهام، ولذا يكثر الحذفُ في المواطن التي يُراد بها التعجب والتهويل.

٤ ـ التخفيف في النطق لكثرة تردده على الألسن، ولذا يكثر حذف النداء، وياء المتكلم، وياء المنقوص، ونحوها.

٥ ـ التعظيم، أو الإهانة، أو إرادة العموم، أو مراعاة الفاصلة مع تمام المعنى، أو النص على المقصود والحصر له؛ كحذف الفعل في الجواب، أو الاشتغال بالأهم وترك ما لا حاجة إليه، أو لا يترتب عليه أثر، أو البيان بعد الإبهام؛ كما في حذف المفعول به، أو كون المحذوف أكبر من أن يذكر، أو القوة في الخطاب، وغيرها.

---

(١) ينظر: النكت والعيون ٥/ ٢١.

(٢) ينظر: تفسير الطبري ٤/ ٢٧٥، الكشاف ١/ ٢٨٣، تفسير ابن كثير ١/ ٥٦٩، البرهان ٣/ ٢٠٥.

(٣) ينظر: تفسير البيضاوي ١/ ٤٩٦.

وعلى هذا فقد بلغ القرآن أعلى درجات الإيجاز والبيان.

قال القرطبي: «فبلاغة القرآن في أعلى طبقات الإحسان، وأرفع درجات الإيجاز والبيان»(١).

وألفاظ القرآن مع ما فيها من الإيجاز والاختصار فهي وافية بالغرض المقصود، متميزة في الإبانة والإفصاح، قال جل وعلا: ﴿لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ ۖ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴿٤٢﴾﴾ [فصّلت].

٦ ـ أن إيجاز الحذف وجه من وجوه إعجاز القرآن.

قال مكي: «ومن إعجازه: الحذف والإيجاز، ودلالة اليسير من اللفظ على المعاني الكثيرة، وهذا موجود بعضه في كلام العرب، لكن لا يوجد مثل قوله: ﴿وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِن قَوْمٍ خِيَانَةً فَٱنۢبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَىٰ سَوَآءٍ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْخَآئِنِينَ ﴿٥٨﴾﴾ [الأنفال]، فقد تضمن هذا معاني، ولا يوجد مثله في كلام العرب بهذه الفصاحة، ومثله كثير في القرآن»(٢).

ومن أهم أسباب الحذف:

أ ـ وجود دليل حالي أو مقالي في السياق.

ب ـ كون السياق لا يحتمل غير المحذوف.

ج ـ كثرة الاستعمال.

د ـ عِلْم المخاطب بالمحذوف.

هذه من أهم المسوغات لبلاغة هذا الأسلوب وحسن استعماله، والله تعالى أعلم.

المطلب الثاني

إيجاز القصر

إيجاز القصر هو القسم الثاني من أقسام الإيجاز، وللقرآن فيه المنزلةُ التي لا تُسامَى، والغاية التي لا تدرك.

---

(١) تفسير القرطبي ١/ ٧٧.

(٢) الهداية إلى بلوغ النهاية ٦/ ٤٢٨٥.

والمراد به: تكثير المعنى بتقليل اللفظ، مع الإبانة والإفصاح[١].

ـ كقوله تعالى: ﴿وَلَكُمْ فِي ٱلْقِصَاصِ حَيَوٰةٌ﴾ [البقرة: ١٧٩].

فهذه الآية لا حذف فيها، ومعناها يزيد على ألفاظها؛ لأن المراد كما قال القزويني: «إن الإنسان إذا علم أنه متى قَتَلَ قُتِل؛ كان ذلك داعياً له قوياً إلى أن لا يُقْدِم على القتل فارتفع بالقتل ـ الذي هو قصاص ـ كثير من قتل الناس بعضهم لبعضٍ، فكان في ارتفاع القتل حياةٌ لهم»[٢].

وهذا المثال يكاد يكون مقارناً للذهن عند ذكر إيجاز القصر.

وكلُّ من تكلم عن إيجاز القصر ذكر هذه الآية مثالاً له، ولذلك أسهبوا في التعليق عليها، للوصول إلى النتيجة المحقَّقَة بأن الإيجاز في القرآن لا يمكن أن يقارَن بكلام الناس، من خلال قول العرب عن المعنى نفسه: «القتْل أنْفَى للقتل»، فذكر العُلماءُ ما وجدوه من فوارق حرفية ولغوية وبلاغية وغيرها، فأوصلها بعضهم إلى العشرين.

وبهذا تكون هذه الآية دليلاً لإعجاز القرآن باستعمال هذا الأسلوب[٣].

قال ابن الأثير: «ولا يُلتفت إلى ما ورد عن العرب من قولهم: القتل أنفى للقتل، فإن من لا يَعلم يظن أن هذا على وزن الآية، وليس كذلك، بل بينها فرق من ثلاثة أوجه:

الأول: أن [الْقِصَاصِ حَيَاةٌ] لفظتان، و[القتل أنفى للقتل] ثلاثة ألفاظ.

الوجه الثاني: أن في قولهم: [القتل أنفى للقتل] تكريراً ليس في الآية.

الثالث: أنه ليس كلُّ قتل نافياً للقتل إلا إذا كان على حكم القصاص»[٤].

❐ وخلاصة ما تميزت به آية القصاص:

١ ـ أن فيها الترغيب في القصاص بذكر الحياة المحبوبة والمقبولة في الطباع، وجعلها نتيجة له، وتنكيرها للتعظيم والتكثير.

---

(١) ينظر: الإيضاح في علوم البلاغة ١٨٤. (٢) الإيضاح في علوم البلاغة ١٨٤.
(٣) ينظر: البرهان ٣/ ٢٢٢. (٤) المثل السائر ٢/ ١١٧.

٢ ـ في الآية إظهار للعدل بذكر كلمة القصاص، بخلاف أي لفظ آخر.

٣ ـ سلامة الآية من التكرار المعِيب، واطراد الحكم فيها، وكونه رادعاً عن الاعتداء.

٤ ـ شمولها القصاص في النفس والأعضاء، وهذا من زيادة المعاني مع قلة الألفاظ[١].

ولأجل تحصيل المعنى الكثير في اللفظ القليل حسن الإيجاز بنوعيه[٢].

ومن أمثلة إيجاز القصر في القرآن:

ـ قوله تعالى: ﴿خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿١٩٩﴾﴾ [الأعراف].

جمعت هذه الآية كل دقيق وجليل، من الأخذ بالأيسر، وتقوى الله، والصفح عن المسيء، وصلة الأرحام، وصرف اللسان عن الكذب، والإعراض عن كل محرم، وغير ذلك من أبواب الخير[٣].

قال السيوطي: «هذه الآية جامعة لمكارم الأخلاق؛ لأن في أخذ العفو: التساهل، والتسامح في الحقوق، واللين، والرفق في الدعاء إلى الدين، وفي الأمر بالمعروف: كف الأذى، وغض البصر، وما شاكلها من المحرمات، وفي الإعراض: الصبر، والحلم، والتؤدة»[٤].

وقال البيضاوي: «وهذه الآية جامعة لمكارم الأخلاق، آمرة للرسول باستجماعها»[٥].

ـ وقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ وَإِيتَآئِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَٱلْبَغْىِ ۚ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٩٠﴾﴾ [النحل].

هذه الآية لم تدع خيراً إلا أمرت به، ولا شراً إلا نهت عنه.

فالعدل: هو سلوك الصراط المستقيم في جميع الواجبات، والإحسان:

---

(١) ينظر: الإيضاح في علوم البلاغة ١٨٤ ـ ١٨٥، البرهان ٣/ ٢٢٢، الإتقان ٢/ ١٢٠.
(٢) ينظر: التحرير والتنوير ١/ ١٢٢.
(٣) ينظر: البرهان ٣/ ٢٢٦.
(٤) الإتقان ٢/ ١١٨.
(٥) تفسير البيضاوي ٣/ ٨٤.

هو الإخلاص في واجبات العبودية بأن تعبد الله كأنك تراه، وإيتاء ذي القربى: هو الزيادة على الواجب من النوافل هذا في الأوامر.

وأما النواهي: فأشار بالفحشاء إلى القوة الشهوانية، وبالمنكر إلى كل محرم شرعاً، وبالبغي إلى الاستعلاء والاستطالة[١].

ولهذا قال ابن مسعود: «إن أجمع آية في القرآن للخير والشر في سورة النحل: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ وَٱلۡإِحۡسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَيَنۡهَىٰ عَنِ ٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِ وَٱلۡبَغۡيِۚ يَعِظُكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ ٩٠﴾ [النحل]»[٢].

وقرأ الحسن[٣] هذه الآية يوماً ثم وقف، فقال: «إن الله ﷻ جمع لكم الخير كله والشر كله في آية واحدة، فوالله ما ترك العدلُ والإحسانُ من طاعة الله شيئاً إلا جمعه، ولا ترك الفحشاء والمنكر والبغي من معصية الله شيئاً إلا جمعه»[٤].

وقال السعدي: «هذه الآية جامعة لجميع المأمورات والمنهيات، لم يبق شيء إلا دخل فيها، فهذه قاعدة ترجع إليها سائر الجزئيات، فكل مسألة مشتملة على عدل، أو إحسان، أو إيتاء ذي القربى، فهي مما أمر الله به، وكل مسألة مشتملة على فحشاء، أو منكر، أو بغي، فهي مما نهى الله عنه، وبها يعلم حسن ما أمر الله به وقبح ما نهى عنه، وبها يعتبر ما عند الناس من الأقوال، وتُرَد إليها سائر الأحوال، فتبارك من جعل في كلامه الهدى

(١) ينظر: تفسير البيضاوي ٣/ ٤١٦، تفسير الرازي ٢٠/ ٨١، الإتقان ٢/ ١١٨.
(٢) أخرجه الحاكم في المستدرك ٢/ ٣٨٨، وقال: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه، وقال الذهبي: على شرط البخاري ومسلم، والبيهقي في شعب الإيمان ٤/ ٤٧٣ (٢٤٤٠).
(٣) هو: الحسن بن يسار البصري بن أبي الحسن أبو سعيد مولى زيد بن ثابت، تابعي، كان إمام أهل البصرة، من مصنفاته: «التفسير» ورواه عنه جماعة، وكتابه إلى عبد الملك بن مروان في الرد على القدرية، و«فضائل مكة»، مات سنة (١١٠هـ)، له ترجمة في: حلية الأولياء ٢/ ١٣١، سير أعلام النبلاء ٤/ ٥٦٣، طبقات الداوودي ١/ ١٥٠.
(٤) أخرجه البيهقي في شعب الإيمان ١/ ١٦١ (١٤٠).

والشفاء، والنور والفرقان بين جميع الأشياء»[١].

فهذه الآيات وغيرها كثيرٌ من جوامع الكلم التي بُعِث بها النبي ﷺ، وقد سبقت الإشارة إلى شيء من هذه الجوامع في مبحث اختيار جوامع الألفاظ من عادة القرآن، وهنا جوامع الآيات فاجتمع اختيار الألفاظ الجوامع مفردة ومجموعة.

قال الفيروزآبادي: «ومن جوامع آيات القرآن قوله تعالى: ﴿خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿١٩٩﴾﴾ [الأعراف]، فإنها جامعة لجميع مكارم الأخلاق، وقوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ﴾ [النحل: ٩٠]، مستجمعة لجميع أسباب السِّياسة والإيالة»[٢].

ـ وقوله تعالى: ﴿أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ﴾ [الأعراف: ٥٤].

هاتان كلمتان أحاطتا بجميع الأشياء على غاية الاستقصاء، فالمراد بالخلق: جميع المخلوقات، والأمر: جميع الأوامر والنواهي منه سبحانه[٣].

قال السعدي: «وذلك أنه الخالق الآمر الناهي، فكما أنه لا خالق سواه فليس على الخلق إلزام ولا أمر ولا نهي إلا من خالقهم، وأيضاً فإن خلقه للخلق فيه التدبير القدري الكوني، وأمره فيه التدبير الشرعي الديني، فكما أن الخلق لا يخرج عن الحكمة؛ فلم يخلق شيئاً عبثاً، فكذلك لا يأمر ولا ينهى إلا بما هو عدل وحكمة وإحسان»[٤].

ـ وقوله تعالى: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ﴿١﴾﴾ [الإخلاص]، إلى آخرها.

ففيها كمال التنزيه، مع تضمنها الرد على نحو أربعين فرقة، بألفاظ موجزة[٥].

---

(١) تفسير السعدي ٤٤٧.

(٢) بصائر ذوي التمييز ١/ ٤٩، والإيالة: حسن الرعاية، ينظر: الصحاح مادة: (أول) ٥/ ٣١٤.

(٣) ينظر: الهداية إلى بلوغ النهاية ٣/ ٢١٢٥، تفسير اللباب ٩/ ١٥٥.

(٤) تفسير السعدي ٥٠١.

(٥) ينظر: مجموع الفتاوى لابن تيمية ١٧/ ٥، البرهان ٣/ ٢٢٥، الإتقان ٢/ ١١٨.

قال الحكمي[١]: «وهذه السورة العظيمة التي قال فيها النبي ﷺ: «**إنها تعدل ثلث القرآن**»[٢] مشتملة على توحيد الإلٰهية والربوبية والأسماء والصفات، جامعة بين الإثبات لصفات الكمال وبين التنزيه له تعالى عن الأشباه والأمثال، متضمنة الرد على جميع طوائف الكفر؛ من الدهرية، والوثنية، والملاحدة من المشبهة والمعطلة وأهل الحلول والاتحاد، ومن نَسَب له الصاحبة والولد، وغيرهم، تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً والله أعلم»[٣].

ـ وقوله تعالى: ﴿وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ ٱلْأَنفُسُ وَتَلَذُّ ٱلْأَعْيُنُ ۖ وَأَنتُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٧١﴾﴾ [الزُّخرف: ٧١].

فهذه الآية جمعت أوصاف الجنة المرغبة فيها؛ بحيث لو اجتمع الخلق كلهم على وصف ما فيها على التفصيل لم يخرجوا عن هذا الوصف[٤].

قال القرطبي: «هذا رسول الله ﷺ مع ما أوتي من جوامع الكلم، واختص به من غرائب الحكم، إذا تأملت قوله ﷺ في «صفة الجنان»، وإن كان في نهاية الإحسان، وجدته منحطاً عن رتبة القرآن، وذلك في قوله عليه السلام: «**فيها ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر**» فأين ذلك من قوله ﷻ: ﴿وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ ٱلْأَنفُسُ وَتَلَذُّ ٱلْأَعْيُنُ ۖ﴾ [الزُّخرف: ٧١]»[٥].

ـ وقوله تعالى: ﴿فَٱصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ﴾ [الحجر: ٩٤].

---

(١) هو: حافظ بن أحمد بن علي الحكمي، فقيه أديب، من علماء منطقة جازان في السعودية، من مصنفاته: «الجوهرة الفريدة في العقيدة»، و«اللؤلو المكنون في أحوال السند والمتون»، و«الأصول في نهج الرسول»، و«منظومة سلم الوصول إلى علم الأصول في التوحيد»، و«معارج القبول في شرحها»، مات سنة (١٣٧٧هـ)، وعمره ٣٥ سنة، له ترجمة في: مقدمة معارج القبول بقلم ابنه أحمد، أعلام الحنابلة في أصول الفقه للدكتور إبراهيم بن عبد الله آل إبراهيم ٦١، الأعلام ٢/ ١٥٩.

(٢) أخرجه البخاري ٦/ ٢٣٣ (٥٠١٣)، باب فضل ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ﴿١﴾﴾، من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، ومسلم ١/ ٥٥٦ (٨١١)، باب فضل قراءة ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ﴾ أحد، من حديث أبي الدرداء رضي الله عنه.

(٣) معارج القبول ١/ ١٤٣.

(٤) ينظر: الإتقان ٢/ ١٢٠.

(٥) تفسير القرطبي ١/ ٧٧.

ففي هذه الكلمات اليسيرة جمع لمعان تحمل المهام الكبيرة على رسول الله ﷺ.

قال الزركشي: «فهذه ثلاث كلمات، اشتملت على جميع ما في الرسالة»(١).

سمع أعرابي رجلاً يقرأ: ﴿فَٱصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ﴾ فسجد، وقال: سجدت لفصاحة هذا الكلام(٢).

وهذا من أمثلة البيان والفصاحة والإعجاز في كتاب الله(٣).

ـ وقوله تعالى: ﴿قَالَتْ نَمْلَةٌ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّمْلُ ٱدْخُلُوا۟ مَسَٰكِنَكُمْ لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَٰنُ وَجُنُودُهُۥ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿١٨﴾﴾ [النمل: ١٨].

ففي هذه الآية جمعٌ لعدد من الأساليب التي تحمل المعاني مع قلة الألفاظ وإيجازها(٤).

قال الزركشي: «فجمع في هذه اللفظة أحد عشر جنساً من الكلام، نادت، وكَنَّت، ونبَّهَت، وسمَّت، وأمرت، وقصت، وحذرت، وخصت، وعمت، وأشارت، وعَذَرت.

فالنداء: يا، والكناية: أي، والتنبيه: ها، والتسمية: النمل، والأمر: ادخلوا، والقصص: مساكنكم، والتحذير: لا يحطمنكم، والتخصيص: سليمان، والتعميم: جنوده، والإشارة: وهم، والعذر: لا يشعرون»(٥).

ـ وقوله تعالى: ﴿وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ أُمِّ مُوسَىٰٓ أَنْ أَرْضِعِيهِ ۖ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِى ٱلْيَمِّ وَلَا تَخَافِى وَلَا تَحْزَنِىٓ ۖ إِنَّا رَآدُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٧﴾﴾ [القصص].

---

(١) البرهان ٣/ ٢٢٦.

(٢) وسمع آخر رجلاً يقرأ: ﴿فَلَمَّا ٱسْتَيْـَٔسُوا۟ مِنْهُ خَلَصُوا۟ نَجِيًّا ۖ﴾ [يوسف: ٨٠] فقال: أشهد أن مخلوقاً لا يقدر على مثل هذا الكلام. ينظر: الشفا للقاضي عياض ٢٦٢، إعجاز القرآن للباقلاني ٦٦.

(٣) ينظر: دلائل الإعجاز ٢٩٥، نهاية الأرب في فنون الأدب ٧/ ٦.

(٤) نهاية الأرب في فنون الأدب ٧/ ٦.

(٥) البرهان ٣/ ٢٢٧.

قال ابن العربي: «هذه الآية من أعظم آي القرآن فصاحة؛ إذ فيها أمران، ونهيان، وخبران، وبشارتان»[١].

ـ وقوله تعالى: ﴿يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ خُذُواْ زِينَتَكُمۡ عِندَ كُلِّ مَسۡجِدٖ وَكُلُواْ وَٱشۡرَبُواْ وَلَا تُسۡرِفُوٓاْۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُسۡرِفِينَ ٣١﴾ [الأعراف].

جَمَع الله في هذه الآية أصول الكلام: النداء، والعموم، والخصوص، والأمر، والنهي، والخبر[٢].

وفي قوله تعالى: ﴿وَكُلُواْ وَٱشۡرَبُواْ وَلَا تُسۡرِفُوٓاْۚ﴾ توجيه وجيز اجتمعت فيه أسباب الصحة، ووسائل الوقاية والعلاج، فمهما تكلم الباحث في أصول الصحة وتفصيلاتها؛ فمرجعه إلى هذا الجزء من الآية.

قال ابن القيم: «فصل في هديه في حفظ الصحة» وبعد ذكر أهمية اختيار نوع الأكل وأنه سبب اعتدال البدن وصحته قال: «وهذا كله مستفاد من قوله: ﴿وَكُلُواْ وَٱشۡرَبُواْ وَلَا تُسۡرِفُوٓاْۚ﴾ فأرشد عباده إلى إدخال ما يقيم البدن من الطعام والشراب، عوض ما تحلل منه، وأن يكون بقدر ما ينتفع به البدن في الكمية والكيفية، فمتى جاوز ذلك كان إسرافاً، وكلاهما مانع من الصحة جالب للمرض؛ أعني: عدم الأكل والشرب، أو الإسراف فيه، فحفظ الصحة كله في هاتين الكلمتين الإلٰهيتين»[٣].

ـ وقوله تعالى: ﴿وَقِيلَ يَٰٓأَرۡضُ ٱبۡلَعِي مَآءَكِ وَيَٰسَمَآءُ أَقۡلِعِي وَغِيضَ ٱلۡمَآءُ وَقُضِيَ ٱلۡأَمۡرُ وَٱسۡتَوَتۡ عَلَى ٱلۡجُودِيِّۖ وَقِيلَ بُعۡدٗا لِّلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ٤٤﴾ [هود].

تنوعت الأساليب في هذه الآية، فجمعت بين قلة الألفاظ وكثرة المعاني.

قال السكاكي[٤]: «وإذ قد وقفت على البلاغة وعثرت على الفصاحة

---

(١) أحكام القرآن ٣/ ٤٩١، وينظر: بصائر ذوي التمييز ١/ ٧٢.
(٢) ينظر: الإتقان ٢/ ١١٩.
(٣) زاد المعاد ٤/ ١٩٥، الطب النبوي ١٦٦ ـ ١٦٧.
(٤) هو: يوسف بن أبي بكر بن محمد أبو يعقوب السكاكي سراج الدين الحنفي الخوارزمي، إمام في العربية والمعاني والبيان والأدب والعروض والشعر، متكلم فقيه =

المعنوية واللفظية، فأنا أذكر على سبيل الأنموذج آية أكشف لك فيها عن وجوه البلاغة والفصاحتين، ما عسى يسترها عنك، ثم إن ساعَدَك الذوق أدركت منها ما قد أدرك من تُحُدُّوا بها، وهي قوله علت كلمته: ﴿وَقِيلَ يَٰٓأَرۡضُ ٱبۡلَعِي مَآءَكِ وَيَٰسَمَآءُ أَقۡلِعِي وَغِيضَ ٱلۡمَآءُ وَقُضِيَ ٱلۡأَمۡرُ وَٱسۡتَوَتۡ عَلَى ٱلۡجُودِيِّۖ وَقِيلَ بُعۡدٗا لِّلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ٤٤﴾ [هود: ٤٤]»[(١)].

وقال الزركشي: «كيف أمر ونهى، وأخبر ونادى، ونعت وسمى، وأهلك وأبقى، وأسعد وأشقى، وقصَّ من الأنباء ما لو شُرِح ما اندرج في هذه الجملة من بديع اللفظ والبلاغة والإيجاز والبيان لجفت الأقلام، وانحسرت الأيدي»[(٢)].

وبعد هذا العرض لأمثلة إيجاز القصر يظهر لي ما يأتي:

ـ أن آيات القرآن حققت المراد منها في إيجاز ألفاظها، وكثرة معانيها، وحُسن تأليف حروفها، وتلاؤم كلمِهَا، فيدخل تحت كل لفظة منها جُمَلاً كثيرة، وفصولاً جمَّةً، وعلوماً كبيرة، مُلِئت الكتب من بعض ما استفيد منها، وكثرت البحوث في المستنبطات منها، وعلى هذا فالآيات التي فيها إيجاز قصر تحتاج إلى طول تأمل وتدبر.

ـ أن في إيجاز القصر إعجازاً بذاته، ودليل ذلك عَجْزُ المعارضين، واعترافُ المفترين بإعجاز بلاغته وبيانه.

قال الجرجاني: «والإيجاز من الأركان في أمر الإعجاز»[(٣)].

وقال الماوردي: «فأما إعجاز القرآن الذي عجزت به العرب عن الإتيان بمثله، فقد اختلف العلماء فيه على ثمانية أوجه:

= متفنن، من أشهر مصنفاته: «مفتاح العلوم في اثني عشر علماً»، «رسالة في علم المناظرة»، مات سنة (٦٢٦هـ)، له ترجمة في: الجواهر المضية في طبقات الحنفية ٢/ ٢٢٥، شذرات الذهب ٥/ ١٢٢.

(١) مفتاح العلوم ٥٢٧.

(٢) البرهان ٣/ ٢٢٧، وينظر: الإتقان ٢/ ١١٩.

(٣) دلائل الإعجاز ٣٧٩.

أحدها: أن وجه إعجازه، هو الإعجاز والبلاغة، حتى يشتمل يسير لفظه على كثير المعاني، مثل قوله تعالى: ﴿وَلَكُمْ فِي ٱلْقِصَاصِ حَيَوٰةٌ﴾ [البقرة: ١٧٩]، فجمع في كلمتين، عدد حروفهما عشرة أحرف معاني كلام كثير..»[(١)].

ـ أن في إيجاز القصر الاستغناء عن التفصيلات الكثيرة بالكلام الجامع، وبالأمثال، وبالقواعد العامة التي تدل على مثيلاتها ومقابلاتها.

ـ أن في هذا الأسلوب ـ إضافةً إلى الحسن والجمال ـ الدلالة على التمكن في الفصاحة والبلاغة.

ـ أن إيجاز القصر يكثُر في:

١ ـ النكرة في سياق الإثبات، كما قال تعالى: ﴿وَلَكُمْ فِي ٱلْقِصَاصِ حَيَوٰةٌ﴾ [البقرة: ١٧٩]، وكذا قوله تعالى: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١﴾ [الإخلاص].

٢ ـ وكذا في أدوات الحصر، كما قال تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾ [الحجرات: ١٠].

فدخل في حصر هذه الآية كل معنى من معاني الأخوة، وأوجب كل حق من حقوقها.

قال السعدي: «هذا عقد عقده الله بين المؤمنين، أنه إذا وجد من أي شخص كان، في مشرق الأرض ومغربها، الإيمان بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، فإنه أخ للمؤمنين، أخوة توجب أن يحب له المؤمنون ما يحبون لأنفسهم، ويكرهون له ما يكرهون لأنفسهم، ولهذا قال النبي ﷺ آمراً بحقوق الأخوة الإيمانية: «**لا تحاسدوا، ولا تناجشوا، ولا تباغضوا، ولا يبع أحدكم على بيع بعض، وكونوا عباد الله إخواناً المؤمن أخو المؤمن، لا يظلمه، ولا يخذله، ولا يحقره**»[(٢)]»[(٣)].

---

(١) النكت والعيون ١/ ٣٠.

(٢) أخرجه البخاري ٨/ ٢٣ (٦٠٦٤)، كتاب الأدب، باب ما ينهى عن التحاسد والتدابر، ومسلم ٤/ ١٩٨٦ (٢٥٦٤)، كتاب البر والصلة والآداب، باب تحريم ظلم المسلم وخذله واحتقاره ودمه وعرضه وماله، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٣) تفسير السعدي ٨٠٠.

٣ ـ كما كَثُر إيجاز القصر في الأسماء الموصولة الدالة على الجمع، كما في قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ ﴿١٢٨﴾﴾ [النحل].

فالاسم الموصول الدال على الجمع يدل على العموم، وعليه فالحكم ينال كل من يصلح دخوله فيه، ولذا فتشمل هذه الآية كل من اجتَنَب المعاصي وفَعَل الطاعات.

قال الماوردي: «فجمع في هذه الآية اجتناب المعاصي وفعل الطاعات»(١).

٤ ـ وظهر إيجاز القصر في أدوات الشرط، كما في قوله تعالى: ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ﴿٧﴾﴾ [الزَّلزلة].

قال ابن جزي: «والعموم أحسن؛ لأن كل أحد يرى ما عمل، لقوله تعالى: ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ﴿٧﴾﴾»(٢).

وقال القرطبي: «وقد اتفق العلماء على عموم هذه الآية، القائلون بالعموم ومن لم يقل به»(٣).

ومواضع إيجاز القصر في القرآن كثيرة، والجامع لها: لفظ قليل في طياته معنى كبير، بسْطُهَا والتأمُّلُ فيها يحتاج إلى مجلدات، وتعْجِز دونه الأعمار والأوقات.

ألا ما أجمل الإيجاز في مواضعه، والقرآن هو مرجع اللغة العربية، وقد ضَرَب أروع الأمثلة في الإيجاز، ولا يُقَلل ذلك من شأن الإطناب في مواضعه، كما سيأتي في المبحث التالي، فهذه هي اللغةُ العربية من مرجِعِها، والفصاحةُ والبلاغةُ من موردها، قال جل وعلا: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٢﴾﴾ [يوسف]، وقال تعالى: ﴿قُرْءَانًا عَرَبِيًّا غَيْرَ ذِى عِوَجٍ لَّعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿٢٨﴾﴾ [الزُّمر]، وقال سبحانه: ﴿كِتَٰبٌ فُصِّلَتْ ءَايَٰتُهُۥ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٣﴾﴾ [فصِّلت]، والله أعلم.

---

(١) النكت والعيون ٣/ ٢٢٢.
(٢) التسهيل ٢/ ٥٣٠.
(٣) تفسير القرطبي ٢٠/ ١٥٢.

المبحث الثالث

الإطناب

وفيه أربعة مطالب:

- **المطلب الأول: الإيضاح بعد الإبهام.**
- **المطلب الثاني: ذكر الخاص بعد العام.**
- **المطلب الثالث: التكرار.**
- **المطلب الرابع: التذييل.**

❐ تمهيد:

الإطنَاب في الكلام لغة: المبالغة فيه[١].

قال ابن فارس: «الطاء والنون والباء أصلٌ يدلُّ على ثَبات الشَّيء، وتمكنه في استطالة»[٢].

والإطناب اصطلاحاً: زيادة اللفظ على المعنى لغرض بلاغي[٣].

وإذا كان الإيجاز في موضعه بلاغة، فإن الإطناب في مواضعه يعد بلاغة كذلك، ولذا جاء القرآن جامعاً بين الأسلوبين حسب حاجة المقام، فالبليغ من يوجز في مواطن الإيجاز، ويفصّل في مواطن التفصيل كما هي عادة القرآن[٤].

وفي أسلوب الإطناب موافقة الكلام للمقام، وهذا هو ما تعارف عليه

(١) ينظر: الصحاح، مادة: (طنب) ٢/ ١٩١.
(٢) معجم مقاييس اللغة، مادة: (طنب) ٣/ ٤٢٦.
(٣) ينظر: العين ٧/ ٤٣٨، الكليات ٢٠١، لسان العرب ١/ ٥٦٠، المعجم الوسيط ٢/ ٥٦٧.
(٤) ينظر: الإيضاح في علوم البلاغة ١٧٩.

العرب في بلاغتهم، بسط وتفصيل في غير خَطَلٍ، وإيجاز واختصار في غير عجزٍ[١].

قال الكفوي: «أما الإيجاز فكقوله تعالى: ﴿وَلَكُمْ فِي ٱلْقِصَاصِ حَيَوٰةٌ﴾ [البقرة: ١٧٩]، والإطناب هذا المعنى كقوله تعالى: ﴿وَمَن قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لِوَلِيِّهِۦ سُلْطَٰنًا فَلَا يُسْرِف فِّي ٱلْقَتْلِ﴾ [الإسراء: ٣٣]»[٢].

وبين الإطناب والإسهاب فرق، فالإطناب هو بسط الكلام لتكثير الفائدة، والإسهاب تكثيره مع قلة الفائدة، فالإطناب بلاغة، والإسهاب عِيٌّ[٣].

قال الزمخشري: «وكما يجب على البليغ في مظان الإجمال والإيجاز أن يجمل ويوجز، فكذلك الواجب عليه في موارد التفصيل والإشباع أن يفصل ويشبع»[٤].

المطلب الأول

الإيضاح بعد الإبهام

الإيضاح: هو التبيين، من أوضح يوضح إيضاحاً[٥].

والواو والضاد والحاء: أصلٌ واحد يدلُّ على ظُهور الشَّيءِ وبُروزِه[٦].

والإبهام: هو الخفاء والاستغلاق، وطريقٌ مُبْهَمٌ إذا كان خَفِيّاً لا يَسْتَبين، واسْتَبْهَم عليه الأَمر؛ أي: استَغْلَق[٧].

والباء والهاء والميم: أن يبقى الشّيءُ لا يُعْرَفُ المأْتَى إليه[٨].

وعلى هذا فالمراد بالإيضاح بعد الإبهام في هذا المبحث:

---

(١) ينظر: البيان والتبيين ١/ ٩١.
(٢) الكليات ١٣٨٢.
(٣) ينظر: الفروق في اللغة ٥٦، الكليات ٢٠١.
(٤) الكشاف ١/ ١١٣.
(٥) تاج العروس ٧/ ٢١٢.
(٦) معجم مقاييس اللغة ٦/ ١١٩.
(٧) لسان العرب ١٢/ ٥٦.
(٨) معجم مقاييس اللغة ١/ ٣١١.

كل ما ورد في القرآن خفياً ثم بُيِّن وَوُضِّح لغرض بلاغي، وهو أسلوب من أساليب البلاغة التي تفيد معنى البيان والتأكيد.

ومن الأمثلة على هذا الأسلوب:

ـ قوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا ۚ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٩٧﴾﴾ [آل عمران: ٩٧].

أوضح جل وعلا من يجب عليه الحج بعد أن عمم وجوب الحج على الناس، ففيه الإيضاح بعد الإبهام، وأفاد هذا الأسلوب الزيادة والتأكيد على المستطيع؛ لأنه أمره بصورتين مختلفتين، **أولاً**: لدخوله في العموم، **وثانياً**: لاستطاعته.

قال الزمخشري: «ذكر الناس ثم أبدل عنه من استطاع إليه سبيلاً، وفيه ضربان من التأكيد، **أحدهما**: أن الإبدال تثنية للمراد وتكرير له، **والثاني**: أن الإيضاح بعد الإبهام، والتفصيل بعد الإجمال، إيراد له في صورتين مختلفتين»[(١)].

وقال الرازي: «أجمل أولاً وفصَّل ثانياً، وذلك يدل على شدة الاهتمام»[(٢)].

ـ وقوله تعالى: ﴿وَقَضَيْنَآ إِلَيْهِ ذَٰلِكَ ٱلْأَمْرَ أَنَّ دَابِرَ هَٰٓؤُلَآءِ مَقْطُوعٌ مُّصْبِحِينَ ﴿٦٦﴾﴾ [الحجر].

أُبهم الأمر في الآية ثم فُسِّر ووضِّح بقوله: ﴿أَنَّ دَابِرَ هَٰٓؤُلَآءِ مَقْطُوعٌ﴾، وفي هذا تفخيم للأمر وتعظيم له[(٣)].

قال الزمخشري: «وفسر: ﴿ذَٰلِكَ ٱلْأَمْرَ﴾ بقوله: ﴿أَنَّ دَابِرَ هَٰٓؤُلَآءِ مَقْطُوعٌ﴾، وفي إبهامه وتفسيره تفخيم للأمر وتعظيم له»[(٤)].

---

(١) الكشاف ١/ ٤١٨.
(٢) تفسير الرازي ٨/ ١٣٦، وينظر: البحر المحيط ٣/ ١٢.
(٣) ينظر: الهداية إلى بلوغ النهاية ٦/ ٣٩١٢.
(٤) الكشاف٢/ ٥٤٦.

ومثله قال الرازي[١]، والنسفي[٢]، وابن جزي[٣].

ـ وقوله تعالى: ﴿مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَآ أَمَرْتَنِي بِهِۦٓ أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبَّكُمْ﴾ [المائدة: ١١٧].

فقوله تعالى: ﴿أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبَّكُمْ﴾، إيضاحٌ لقوله تبارك وتعالى: ﴿إِلَّا مَآ أَمَرْتَنِي بِهِۦٓ﴾.

ـ وقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ تِجَٰرَةٍ تُنجِيكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿١٠﴾ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١١﴾﴾ [الصَّف].

جيء بذكر التجارة مجملاً مبهماً، ثم وضّح وبيّن المراد بهذه التجارة وهي الإيمان بالله ورسوله والجهاد في سبيل الله.

قال القرطبي: «كأن التجارة لم يُدْرَ ما هي؟ فبُيِّنَت بالإيمان والجهاد، فهي هما في المعنى»[٤].

وقال ابن كثير: «ثم فسر هذه التجارة العظيمة التي لا تبور، والتي هي محصلة للمقصود ومزيلة للمحذور فقال: ﴿تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١١﴾﴾ [الصَّف]؛ أي: من تجارة الدنيا، والكد لها والتصدي لها وحدها»[٥].

ـ وقوله تعالى: ﴿فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ ٱلشَّيْطَٰنُ قَالَ يَٰٓـَٔادَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَىٰ شَجَرَةِ ٱلْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَّا يَبْلَىٰ ﴿١٢٠﴾﴾ [طه].

ذُكرَت الوسوسة على سبيل الإبهام، ثم جاء البيان عنها بأسلوب تفصيلي.

قال أبو السعود: «كأنه قيل فماذا قال في وسوسته؟ فقيل: قال يا آدم هل أدلك على شجرة الخلد»[٦].

---

(١) تفسير الرازي ١٩/ ١٦٠.
(٢) تفسير النسفي ٢/ ٢٤٥.
(٣) التسهيل ٢/ ٦٢.
(٤) تفسير القرطبي ١٨/ ٨٧.
(٥) تفسير ابن كثير ٨/ ١١٢.
(٦) تفسير أبي السعود ٦/ ٤٧.

ـ وقوله تعالى: ﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَٰهِـۧمُ ٱلْقَوَاعِدَ مِنَ ٱلْبَيْتِ وَإِسْمَٰعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّآ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿١٢٧﴾﴾ [البقرة].

هنا جاء بلفظ القواعد من غير إضافة للبيت ليبين بعدها أنها قواعد البيت، وفي هذا تعظيم لشأن الموَضَّح، وإبهامه لتشويق السامع إلى معرفته.

قال الزمخشري: «فإن قلت هلا قيل: قواعد البيت، وأيُّ فرق بين العبارتين؟ قلت: في إبهام القواعد وتبيينها بعد الإبهام ما ليس في إضافتها؛ لما في الإيضاح بعد الإبهام من تفخيم لشأن المبيَّن»[(١)].

ـ وقوله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَآ أَعِظُكُم بِوَٰحِدَةٍ أَن تَقُومُواْ لِلَّهِ مَثْنَىٰ وَفُرَٰدَىٰ ثُمَّ تَتَفَكَّرُواْ مَا بِصَاحِبِكُم مِّن جِنَّةٍ إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ لَّكُم بَيْنَ يَدَىْ عَذَابٍ شَدِيدٍ ﴿٤٦﴾﴾ [سبأ].

قوله: ﴿أَن تَقُومُواْ لِلَّهِ مَثْنَىٰ وَفُرَٰدَىٰ﴾، إيضاح للإبهام في قوله: ﴿قُلْ إِنَّمَآ أَعِظُكُم بِوَٰحِدَةٍ﴾؛ أي: بخصلة واحدة، إن فعلتموها أصبتم الحق، وتوضيحها بما بعدها[(٢)].

قال الطبري: «وقوله: ﴿أَن تَقُومُواْ لِلَّهِ مَثْنَىٰ وَفُرَٰدَىٰ﴾ [سبأ: ٤٦]، يقول: وتلك الواحدة التي أعظكم بها: هي أن تقوموا لله اثنين اثنين، وفُرادَى فرادى؛ فـ[أَنْ] في موضع خفضٍ ترجمةٌ عن الواحدة.

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل»[(٣)].

ـ وقوله تعالى: ﴿فَأَوْحَيْنَآ إِلَيْهِ أَنِ ٱصْنَعِ ٱلْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا فَإِذَا جَآءَ أَمْرُنَا وَفَارَ ٱلتَّنُّورُ فَٱسْلُكْ فِيهَا مِن كُلٍّ زَوْجَيْنِ ٱثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيْهِ ٱلْقَوْلُ مِنْهُمْ وَلَا تُخَٰطِبْنِى فِى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ إِنَّهُم مُّغْرَقُونَ ﴿٢٧﴾﴾ [المؤمنون].

الإبهام في قوله: ﴿فَأَوْحَيْنَآ إِلَيْهِ﴾، والإيضاح في قوله: ﴿أَنِ ٱصْنَعِ ٱلْفُلْكَ﴾[(٤)].

---

(١) الكشاف ١/ ٢١٤.
(٢) ينظر: التسهيل ٢/ ٣٩٢، تفسير القاسمي ٨/ ١٥٤.
(٣) تفسير الطبري ٢٠/ ٤١٧، وينظر: تفسير القرطبي ١٤/ ٣١١.
(٤) ينظر: التحرير والتنوير ١٨/ ٤٥.

قال أبو السعود: «﴿فَأَوْحَيْنَآ إِلَيْهِ﴾، عند ذلك، أن اصنع الفلك، أن: مفسرة؛ لما في الوحي من معنى القول»(١).

قال الزركشي: «الثالث ـ من معاني أَنْ ـ مفسرة بمنزلة أيٍ، التي لتفسير ما قبلها بثلاثة شروط: تمام ما قبلها من الجملة، وعدم تعلقها بما بعدها، وأن يكون الفعل الذي تفسره في معنى القول؛ كقوله تعالى: ﴿وَنَدَيْنَٰهُ أَن يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ ﴿١٠٤﴾﴾ [الصافات]، ﴿فَأَوْحَيْنَآ إِلَيْهِ أَنِ ٱصْنَعِ ٱلْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا﴾ [المؤمنون: ٢٧]، و﴿أَن طَهِّرَا بَيْتِىَ﴾ [البقرة: ١٢٥]»(٢).

ـ **وقوله تعالى**: ﴿إِذْ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ أُمِّكَ مَا يُوحَىٰٓ ﴿٣٨﴾ أَنِ ٱقْذِفِيهِ فِى ٱلتَّابُوتِ فَٱقْذِفِيهِ فِى ٱلْيَمِّ فَلْيُلْقِهِ ٱلْيَمُّ بِٱلسَّاحِلِ يَأْخُذْهُ عَدُوٌّ لِّى وَعَدُوٌّ لَّهُۥ وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِّنِّى وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِىٓ ﴿٣٩﴾﴾ [طه].

﴿مَا يُوحَىٰٓ﴾، مبهم، أوضحه قوله تعالى: ﴿أَنِ ٱقْذِفِيهِ فِى ٱلتَّابُوتِ﴾.

ـ وقوله تعالى: ﴿وَنَادَىٰٓ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ أَصْحَٰبَ ٱلنَّارِ أَن قَدْ وَجَدْنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا حَقًّا فَهَلْ وَجَدتُّم مَّا وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقًّا ۖ قَالُوا۟ نَعَمْ ۚ فَأَذَّنَ مُؤَذِّنٌۢ بَيْنَهُمْ أَن لَّعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤٤﴾﴾ [الأعراف].

في قوله ﴿وَنَادَىٰٓ﴾ إبهام، أوضحه قوله: ﴿أَن قَدْ وَجَدْنَا﴾.

ـ وقوله تعالى: ﴿وَٱتَّقُوا۟ ٱلَّذِىٓ أَمَدَّكُم بِمَا تَعْلَمُونَ ﴿١٣٢﴾ أَمَدَّكُم بِأَنْعَٰمٍ وَبَنِينَ ﴿١٣٣﴾﴾ [الشعراء].

جاء ذكر النعمة على سبيل الإجمال الذي يُهيئ السامعين لتَلَقِّي ما يَرِد بعده، فأُبهم في قوله: ﴿أَمَدَّكُم بِمَا تَعْلَمُونَ ﴿١٣٢﴾﴾، ثم وضَّح بقوله: ﴿أَمَدَّكُم بِأَنْعَٰمٍ وَبَنِينَ ﴿١٣٣﴾﴾، مستشهداً بعلمهم(٣).

قال العكبري: «قوله تعالى: ﴿أَمَدَّكُم بِأَنْعَٰمٍ﴾ هذه الجملة مفسرة لما

---

(١) تفسير أبي السعود ٦/ ١٣١.
(٢) البرهان ٤/ ٢٢٥، وينظر: رصف المباني ١٩٦، الجنى الداني ٢٢٠.
(٣) ينظر: الكشاف ٣/ ٣٣١، تفسير القرطبي ١٣/ ١٢٥، البحر المحيط ٧/ ٣٣، التحرير والتنوير ١٩/ ١٧.

قبلها»[١].

وقال ابن جزي: «﴿أَمَدَّكُم بِأَنْعَٰمٍ﴾ الآية تفسير لقوله: ﴿أَمَدَّكُم بِمَا تَعْلَمُونَ ﴿١٣٢﴾﴾ فأبهم أولاً ثم فسره»[٢].

ويأتي الإطناب لمراعاة المقام مع إزالة الإيهام:

ـ كما في قوله تعالى: ﴿قَالَ هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّؤُاْ عَلَيْهَا وَأَهُشُّ بِهَا عَلَىٰ غَنَمِي وَلِيَ فِيهَا مَـَٔارِبُ أُخْرَىٰ ﴿١٨﴾﴾ [طه].

فهذا جواب للسؤال: ﴿وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَٰمُوسَىٰ ﴿١٧﴾﴾ [طه]، ويمكن قصر الجواب على قدر السؤال، ولكن لو اقتُصِر في مثل هذا المقام لم يُفِد السائل الفائدة الكاملة، بل سيدفعه لسؤال آخر؛ لزيادة التوضيح في معرفة الغاية من حمل العصا، ففي الزيادة في الجواب فوائد منها: إيضاح المراد من السؤال دون استبهام، وإقناع السائل، ومراعاة الحال، مما يؤدي إلى تجنب تكرار سؤال آخر، إضافة إلى التلذذ بالكلام في موضعه[٣].

قال الزركشي: «ومثال الزيادة في الجواب، قوله تعالى: ﴿وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَٰمُوسَىٰ ﴿١٧﴾ قَالَ هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّؤُاْ عَلَيْهَا وَأَهُشُّ بِهَا عَلَىٰ غَنَمِي وَلِيَ فِيهَا مَـَٔارِبُ أُخْرَىٰ ﴿١٨﴾﴾ [طه]، فإنه عليه السلام فهم أن السؤال يعقبه أمر عظيمٌ يُحدِثه الله في العصا؛ فينبغي أن ينبه لصفاتها حتى يظهر له التفاوت بين الحالين»[٤].

وقد اجتهد بعض العلماء في ذكر النكت في زيادة الجواب، ومجملها:

١ ـ أنه لما سمع قول الله تعالى: ﴿وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ﴾ [طه: ١٧]، عرف أن لله فيه أسراراً عظيمة، فذكر ما عرف، وعبَّر عن البواقي التي ما عرفها إجمالاً لا تفصيلاً، بقوله: ﴿وَلِيَ فِيهَا مَـَٔارِبُ أُخْرَىٰ ﴿١٨﴾﴾.

٢ ـ أن موسى عليه السلام أحس بأن الله تعالى إنما سأله عن أمر العصا لمنافع عظيمة، فزاد في الجواب لإيضاح هذا الأمر العظيم الشريف الذي كلمه الله

(١) التبيان في إعراب القرآن ٢/٩٩٩.
(٢) التسهيل ٢/٢٩٦.
(٣) ينظر: الكليات ٢٠١.
(٤) البرهان ٤/٤٥.

بسببه[١].

٣ ـ الرغبة في التلذذ بسماع كلام الله تعالى وطول المحادثة.

٤ ـ أن الجواب جاء مكتملاً لكل ما يحتمله السؤال، وفيه مراعاة المقام، لاحتمال كون السؤال عن عين العصا أو عن منفعتها.

قال السعدي: «ومن أدب موسى عليه السلام، أن الله لما سأله عما في يمينه، وكان السؤال محتملاً عن السؤال عن عينها، أو منفعتها! أجابه بعينها، ومنفعتها»[٢].

ـ وقوله تعالى: ﴿وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا طَٰٓئِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّآ أُمَمٌ أَمْثَالُكُم مَّا فَرَّطْنَا فِي ٱلْكِتَٰبِ مِن شَيْءٍ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ ﴿٣٨﴾﴾ [الأنعام].

فقوله: يطير بجناحيه، مع أنه معلوم؛ زيادة لإيضاح ما يمكن أن يُلبِس.

فهي زيادة في بيان الجنس المقصود من الدابة والطائر، فذكر الجناحين إطناب، ولكنه من أجل تحديد النوع، وإزالة اللبس والغموض[٣].

قال النحاس: «ومعنى: ﴿يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ﴾ على التوكيد؛ لأنك قد تقول: طرت في حاجتي»[٤].

قال الزمخشري: «وما معنى زيادة قوله: ﴿فِي ٱلْأَرْضِ﴾ و﴿يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ﴾؟ قلت: معنى ذلك زيادة التعميم والإحاطة، كأنه قيل: وما من دابة قط في جميع الأرضين السبع، وما من طائر قط في جو السماء من جميع ما يطير بجناحيه إلا أمم أمثالكم محفوظة أحوالها غير مهمل أمرها. فإن قلت: فما الغرض في ذكر ذلك؟ قلت: الدلالة على عظم قدرته، ولطف علمه، وسعة سلطانه وتدبيره تلك الخلائق المتفاوتة الأجناس، المتكاثرة الأصناف، وهو حافظ لما لها وما عليها، مهيمن على أحوالها، لا يشغله شأن عن شأن، وأنّ المكلفين ليسوا بمخصوصين بذلك دون من عداهم من سائر الحيوان»[٥].

---

(١) ينظر: تفسير الرازي ٢٢/ ٢٤.
(٢) تفسير السعدي ٥٠٣.
(٣) ينظر: تفسير الرازي ١٢/ ١٧٥.
(٤) معاني القرآن ٢/ ٤٢٢، وينظر: تفسير البغوي ٣/ ١٤١.
(٥) الكشاف ٢/ ٢٢.

ومن الأسرار التي ذكرها العلماء في توجيه التأكيد بقوله: ﴿بِجَنَاحَيْهِ﴾:

١ ـ أنه لما كان الطيران يوصف به من يعقل كالجان والملائكة، فإذا لم يبين بقوله: ﴿بِجَنَاحَيْهِ﴾ لتوهم اقتصار الوصف لمن يعقل، فقيل: ﴿بِجَنَاحَيْهِ﴾؛ ليفيد إرادة الطير المعتقد فيه عدم المعقولية بعينه.

٢ ـ وقيل لو اقتصر على ذكر الطائر، فقال: ﴿وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا طَٰٓئِرٍ﴾ لكان ظاهر العطف يوهم: ولا طائر في الأرض؛ لأن المعطوف عليه إذا قيد بظرف أو حال يقيد به المعطوف، وكان ذلك يوهم اختصاصه بطير الأرض الذي لا يطير بجناحيه كالدجاج والإوز والبط ونحوها، فلما قال: ﴿يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ﴾ زال هذا الوهم وعُلم أنه ليس بطائر مقيد[(١)].

٣ ـ ولأن الطيران يستعمل لغة في الخفة وشدة الإسراع في المشي، وقد استُعمل الطائر في القرآن بمعنى العمل في قوله تعالى: ﴿وَكُلَّ إِنسَٰنٍ أَلْزَمْنَٰهُ طَٰٓئِرَهُۥ فِي عُنُقِهِۦ﴾ [الإسراء: ١٣][(٢)]، فقوله: ﴿بِجَنَاحَيْهِ﴾ رافع لاحتمال هذا المعاني[(٣)].

ومن خلال الأمثلة السابقة؛ تبيَّن لي ما يأتي:

ـ أن الإيضاح بعد الإبهام يُظهر المعنى في صورتين مختلفتين: إحداهما مجملة مبهَمة، والأخرى مفصَّلة موضِّحة.

ـ إتيان الإيضاح بعد الإبهام لتقرير المعنى في ذهن السامع بذكره مرتين، مرة على سبيل الإبهام والإجمال، ومرة على سبيل التفصيل والإيضاح، فيزيده ذلك نبلاً وشرفاً، ويتمكن في النفس أفضَل تمكِّن؛ لأن المعنى إذا أُلقِي على سبيل الإبهام تشوفَت نفس السامع إلى معرفته على سبيل الإيضاح.

ـ أن كَثْرَة النداء في القرآن على طريقة: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ﴾ لاستقلاله بأوجُهٍ من التأكيد، وأسبابٍ من المبالغة، وأهمها: الإيضاح بعد الإبهام[(٤)].

---

(١) ينظر: البرهان ٢/ ٤٢٦.
(٢) البحر المحيط ٤/ ١٢٥، تفسير ابن كثير ٥/ ٥١.
(٣) ينظر: تفسير البيضاوي ٢/ ٤٠٦.
(٤) ينظر: تفسير القاسمي ١/ ٢٦٥.

قال الزمخشري: «[أَي] وصلة إلى نداء ما فيه الألف واللام، وهو اسم مبهم مفتقر إلى ما يوضحه ويزيل إبهامه، فلا بد أن يردفه اسم جنس أو ما يجري مجراه يتصف به حتى يصح المقصود بالنداء، . . . وفي هذا التدرج من الإبهام إلى التوضيح ضرب من التأكيد والتشديد.

فإن قلت: لم كثر في كتاب الله النداء على هذه الطريقة ما لم يكثر في غيره؟ قلت: لاستقلاله بأوجه من التأكيد وأسباب من المبالغة؛ لأن كل ما نادى الله له عباده من أوامره ونواهيه، وعظاته وزواجره، ووعده ووعيده، واقتصاص أخبار الأمم الدارجة عليهم، وغير ذلك مما أنطق به كتابه أمور عظام، وخطوب جسام، ومعان عليهم أن يتيقظوا لها، ويميلوا بقلوبهم وبصائرهم إليها، وهم عنها غافلون، فاقتضت الحال أن ينادوا بالآكد الأبلغ»[(١)].

ـ أن فائدةَ البَدَل: الإيضاحُ بعد الإبهام؛ لأنه يُفيد تأكيداً من حيث المعنى إذ هو على نيَّةِ تكرارِ العاملِ[(٢)].

قال الزركشي: «البدل: والقصد به الإيضاح بعد الإبهام، وهو يفيد البيان والتأكيد»[(٣)].

ـ أن مجيء الإيضاح بعد الإبهام لتفخيم الأمر وتعظيمه؛ كقوله تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ ٱشۡرَحۡ لِي صَدۡرِي ﴿٢٥﴾﴾ [طه]، فإن قوله: ﴿ٱشۡرَحۡ لِي﴾ يُفيد طلب شرح لشيء ما له، وقوله: ﴿صَدۡرِي ﴿٢٥﴾﴾ يُفيد تفسيره وبيانه، وكذلك قوله: ﴿وَيَسِّرۡ لِيٓ أَمۡرِي ﴿٢٦﴾﴾ [طه]، والمقام مقتضٍ للتأكيد، وللإرسال المُؤْذِن بِتَلقِّي المكاره والشدائد[(٤)].

ـ أن الجمل التفسيرية في القرآن تأتي للتعظيم؛ كقوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُۚ لَا تَأۡخُذُهُۥ سِنَةٞ وَلَا نَوۡمٞۚ﴾ [البقرة: ٢٥٥]، وهو في القرآن

(١) الكشاف ١/ ١٢١، ١٢٢.
(٢) ينظر: الدر المصون ١/ ٤٢.
(٣) البرهان ٢/ ٤٥٣، وينظر: الإتقان ٢/ ١٥٢.
(٤) ينظر: الإيضاح في علوم البلاغة ١٩٦.

كثير[١]، وتجيء الجملة التفسيرية لبيان العلة والسبب؛ كقوله تعالى: ﴿فَلَا يَحْزُنكَ قَوْلُهُمْ إِنَّا نَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ ﴿٧٦﴾﴾ [يس]، وليس هذا من قولهم، وإلا لما حزِن الرسول؛ وإنما جيء به لبيان السبب في أنه لا يحزنه قولهم.

والفائدة من الجمل التفسيرية: الإيضاح بعد الإبهام؛ ولذلك لا يحسن قطع القراءة على ما قبلها دونها؛ لأن توضيح الشيء متمِّمٌ له.

ـ أن من فوائد هذا الأسلوب: التشويق للمتلَقِّي، كما جاء الإبهام في قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَٱسْتَمِعُواْ لَهُۥٓ﴾، وبعده البيان والإيضاح في قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَن يَخْلُقُواْ ذُبَابًا وَلَوِ ٱجْتَمَعُواْ لَهُۥ وَإِن يَسْلُبْهُمُ ٱلذُّبَابُ شَيْـًٔا لَّا يَسْتَنقِذُوهُ مِنْهُ ضَعُفَ ٱلطَّالِبُ وَٱلْمَطْلُوبُ ﴿٧٣﴾﴾، ومجيء المعنى على سبيل الإجمال والإبهام، ثم على سبيل الإيضاح والإفهام؛ لما في ذلك من تشويقٍ للمتلقي، وإشارة إلى أهمية المتَحَدَّث عنه، وأهمية تدبره وتأمله، فهذا من أسباب الإطناب الذي هو فنٌّ من فنون البلاغة في علم المعاني، والله تعالى أعلم.

المطلب الثاني

ذكر الخاص بعد العام

❐ تعريف العام والخاص:

العام لغة: الشامل وهو خلاف الخاص[٢].

واصطلاحاً: هو اللفظ الواحد الدال على مسمَّيَيْن فصاعداً مطلقاً معاً[٣].

والخاص لغة: هو المنفرد[٤].

---

(١) ينظر: البرهان ٣/ ٣٦.
(٢) ينظر: المعجم الوسيط ٢/ ٦٢٩.
(٣) ينظر: العدة في أصول الفقه ١/ ١٤٠، الإحكام للآمدي ٢/ ٢١٨، البحر المحيط في أصول الفقه ٢/ ١٨٠.
(٤) ينظر: المعجم الوسيط ١/ ٢٣٨.

واصطلاحاً: هو كل لفظ وضع لمعنى معلوم على الانفراد[١].

ومن صور الإطناب في القرآن: ذكر الخاص بعد العام، تنويهاً بشأن الخاص، وتنبيهاً على فضله، كأنما هو شيء آخر.

والمراد بذكر الخاص بعد العام في هذا المبحث:

ورود لفظ شامل لاثنين فأكثر في القرآن، ثم يُعطَف عليه لفظ هو جزء منه؛ للتنبيه على فضله ومكانته، فكلَّما كان الأول شاملاً للثاني فهو داخل هنا[٢].

ومن أمثلة ذكر الخاص بعد العام في القرآن:

ـ قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ وَبِٱلْأَخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ﴿٤﴾﴾ [البقرة].

فقوله تعالى: ﴿وَبِٱلْأَخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ﴿٤﴾﴾ [البقرة: ٤]، بعد قوله: ﴿ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ﴾ [البقرة: ٣]، والغيب يعم الآخرة وغيرها، ولكن خصها بالذكر لعظمها، والتنبيه على وجوب اعتقادها، والرد على الكفرة الجاحدين لها[٣].

ـ وقوله تعالى: ﴿مَن كَانَ عَدُوًّا لِّلَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَىٰلَ فَإِنَّ ٱللَّهَ عَدُوٌّ لِّلْكَٰفِرِينَ ﴿٩٨﴾﴾ [البقرة].

عطف جبريل وميكال على عموم الملائكة وهما منهم، تشريفاً، وتأكيداً.

قال البغوي: «وجبريل وميكال، خصهما الله بالذكر من جملة الملائكة مع دخولهما في قوله: ﴿وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ﴾، تفضيلاً وتخصيصاً؛ كقوله تعالى: ﴿فِيهِمَا فَٰكِهَةٌ وَنَخْلٌ وَرُمَّانٌ ﴿٦٨﴾﴾ [الرَّحمٰن]، خص النخل والرمان بالذكر مع دخولهما في ذكر الفاكهة»[٤].

---

(١) ينظر: البحر المحيط ٣/ ٢٤٠، شرح الكوكب المنير ٣/ ١٠٤، الكليات ٦٤٩، التعريفات ١٢٨.

(٢) ينظر: البرهان ٢/ ٤٦٩، الإتقان ٢/ ١٥٥.

(٣) ينظر: المحرر الوجيز ١/ ٦٢، تفسير القرطبي ١/ ١٤٠.

(٤) تفسير البغوي ١/ ١٢٥.

وقال الماوردي: «وقد دخل جبريل وميكائيل في عموم الملائكة فلِمَ خصهما بالذكر؟ فعنه جوابان:

أحدهما: أنهما خُصَّا بالذكر تشريفاً لهما وتمييزاً.

والثاني: أن اليهود لما قالوا جبريل عدوّنا، وميكائيل وليُّنا، خُصَّا بالذكر؛ لأن اليهود تزعم أنهم ليسوا بأعداء الله وملائكته؛ لأن جبريل وميكائيل مخصوصان من جملة الملائكة، فنص عليهما لإبطال ما يتأولونه من التخصيص»[١].

وقال أبو حيان: «نبَّه على فضل جبريل وميكال في تجريدهما بالذكر في قوله: ﴿وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَىٰلَ﴾»[٢].

ـ وقوله تعالى: ﴿حَٰفِظُواْ عَلَى ٱلصَّلَوَٰتِ وَٱلصَّلَوٰةِ ٱلْوُسْطَىٰ وَقُومُواْ لِلَّهِ قَٰنِتِينَ ﴿٢٣٨﴾﴾ [البقرة].

في هذه الآية أمر الله تعالى بالمحافظة على الصلوات، والمحافظة عليها: أداؤها بوقتها وشروطها وأركانها وخشوعها وجميع ما لها من واجب ومستحب، وخص تعالى من بينها بمزيد التأكيد الصلاة الوسطى[٣]، ففيها ذكر الخاص بعد العام للعناية به[٤].

قال ابن قتيبة: «وقوله سبحانه: ﴿حَٰفِظُواْ عَلَى ٱلصَّلَوَٰتِ وَٱلصَّلَوٰةِ ٱلْوُسْطَىٰ﴾، وهي منها، فأفردها بالذّكر ترغيباً فيها، وتشديداً لأمرها، كما تقول: إيتني كل يوم، ويوم الجمعة خاصّة»[٥].

وقال أبو حيان: «وخصت الصلاة الوسطى بالذكر، وإن كانت قد اندرجت في عموم الصلوات قبلها، تنبيهاً على فضلها على غيرها من الصلوات»[٦].

---

(١) النكت والعيون ١/ ١٦٣.
(٢) البحر المحيط ٢/ ٢٤٩، وينظر: تفسير اللباب ٢/ ٣١٥.
(٣) ينظر: معاني القرآن للفراء ٣/ ١٩٩، تفسير ابن كثير ١/ ٦٤٥، تفسير السعدي ١٠٦.
(٤) ينظر: تفسير اللباب ٤/ ٢٢٥.
(٥) تأويل مشكل القرآن ١٥٢.
(٦) البحر المحيط ٢/ ٢٤٩، وينظر: تفسير اللباب ٢/ ٣١٥.

وقال القرطبي: «وأفرد الصلاة الوسطى بالذكر وقد دخلت قبل في عموم الصلوات تشريفاً لها»(١).

ـ وقوله تعالى: ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٤﴾﴾ [آل عمران].

الدعاء إلى الخير هو الدعاء إلى ما فيه صلاح ديني أو دنيوي، فعطف الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر عليه بقوله تعالى: ﴿وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ﴾، مع اندراجهما فيه، من باب عطف الخاص على العام؛ لإظهار فضلهما ومكانتهما على سائر الخيرات(٢).

قال الزمخشري: «الدعاء إلى الخير عام في التكاليف من الأفعال والتروك، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر خاص، فجيء بالعام ثم عطف عليه الخاص، إيذاناً بفضله كقوله: ﴿وَٱلصَّلَوٰةِ ٱلْوُسْطَىٰ﴾ [البقرة: ٢٣٨]»(٣).

وقال الرازي: «الدعوة إلى الخير جنس تحته نوعان، أحدهما: الترغيب في فعل ما ينبغي، وهو بالمعروف، والثاني: الترغيب في ترك ما لا ينبغي، وهو النهي عن المنكر، فذكر الجنس أولاً، ثم أتبعه بنوعيه مبالغة في البيان»(٤).

ـ وقوله تعالى: ﴿ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ﴿١﴾﴾ [العلق]، فعم بقوله: ﴿خَلَقَ ﴿١﴾﴾ جميع مخلوقاته، ثم خصّ، فقال: ﴿خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِنْ عَلَقٍ ﴿٢﴾﴾ [العلق].

قال الرازي: «قوله بعد ذلك: ﴿خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِنْ عَلَقٍ ﴿٢﴾﴾ تخصيص للإنسان بالذكر من بين جملة المخلوقات؛ إما لأن التنزيل إليه، أو لأنه أشرف ما على وجه الأرض»(٥).

ـ وقوله تعالى: ﴿تَنَزَّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِم مِّن كُلِّ أَمْرٍ ﴿٤﴾﴾ [القدر].

---

(١) تفسير القرطبي ٣/ ٢٠٩.
(٢) ينظر: البرهان ٢/ ٤٦٩، تفسير أبي السعود ٢/ ٦٧.
(٣) الكشاف ١/ ٤٢٧.
(٤) تفسير الرازي ٨/ ١٤٦.
(٥) تفسير الرازي ٣٢/ ١٦.

قال الطبري: «معنى ذلك: تنزل الملائكة وجبريل معهم، وهو الروح في ليلة القدر»(١).

وجبريل من الملائكة فيكون من ذكر الخاص بعد العام، تشريفاً له.

وقال ابن كثير: «وأما الروح فقيل: المراد به هاهنا جبريل عليه السلام، فيكون من باب عطف الخاص على العام»(٢).

ـ وقوله تعالى: ﴿تَعْرُجُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ إِلَيْهِ﴾ [المعارج: ٤].

قال الزمخشري: «والروح: جبريل عليه السلام، أفرده لتميزه بفضله»(٣).

فعطف جبريل على الملائكة على هذا التفسير من باب عطف الخاص على العام(٤).

ـ وقوله تعالى: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ ۝١ مِن شَرِّ مَا خَلَقَ ۝٢ وَمِن شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ ۝٣﴾ [الفلق].

قوله: ﴿مِن شَرِّ مَا خَلَقَ ۝٢﴾ عام في جميع الشرور ثم خص منها ما خص للتأكيد عليها، إما لخفائها أو شدة شرها.

قال ابن عثيمين: «وقوله: ﴿وَمِن شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ ۝٣﴾ هو معطوف على ﴿مِن شَرِّ مَا خَلَقَ ۝٢﴾ من باب عطف الخاص على العام؛ لأن الغاسق من مخلوقات الله عز وجل»(٥).

ومن خلال هذا المبحث تبين لي ما يأتي:

ـ أن ذكر الخاص بعد العام كثير في القرآن، ومن فوائده:

١ ـ الإشارة إلى أهمية الخاص، وزيادة فضله وشرفه، كما في الأمثلة السابقة، وكذا قوله تعالى: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْمِيزَانَ لِيَقُومَ ٱلنَّاسُ بِٱلْقِسْطِ ۖ وَأَنزَلْنَا ٱلْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَٰفِعُ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥ وَرُسُلَهُۥ بِٱلْغَيْبِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ قَوِىٌّ عَزِيزٌ ۝٢٥ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا وَإِبْرَٰهِيمَ وَجَعَلْنَا

(١) تفسير الطبري ٢٤/ ٥٣٤، وينظر: تفسير البغوي ٨/ ٤٩١.
(٢) تفسير ابن كثير ٨/ ٤٤٤.
(٣) الكشاف ٤/ ٦١٢.
(٤) ينظر: تفسير ابن كثير ٨/ ٢٢١.
(٥) تفسير جزء عم ٣٥٣.